جزء

فيه ذكر ما يجب اعتقاده عند علماء السلف

في الحروف والأصوات

للإمام

محيي الدين أبي زكريا

يحيى بن شرف النووي

تحقيق

أبي الفضل أحمد بن علي الدمياطي

الناشر

مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع

٦ شارع أحمد ماهر فيصل

جيزة ٧٧٥٦٧٧٨



الطبعة الأولى

رقم الإيداع

٢٠٠٣/١٩٢١١

الناشر : مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع

المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي

المحقق : أبو الفضل أحمد بن علي الدمياطي

الموضوع : اعتقاد السلف في الحروف والأصوات


بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الإمام النووي

النواوي الشيخ الإمام القدوة الحافظ، الزاهد، العابد، الفقيه، المجتهد الرباني، شيخ الإسلام أحسبه، الإمام: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن حِزَام بن الحِزَامي الحَوْرَانيّ النواويّ الشافعيّ صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة (بنوي) وكان أبوه دكّانيًّا بها، فنشأ الشيخ في ستر وخير وحفظ القرآن، وبقي يتعيش في الدكان لأبيه، ثم نقله أبوه في سنة تسع وأربعين إلى دمشق ليشتغل بها، فنْزل بالرواقية يتقوت بالجراية، ويدرس في (التنبيه) فحفظه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع (المهذب) في تمام السنة على الشيخ: الكمال إسحاق بن أحمد.

ثم حج مع والده، وقد لاحت عليه أمارات النجابة والفهم، فاتفق أنه أقام بالمدينة النبوية شهراً ونصف، وتعلل في أكثر الطرق، ورجع وأكب على طلب العلم ليلاً ونَهارًا اشتغالاً فضرب به المثل، وهجر النوم إلا عن غلبة، وضبط أوقاته إلا بلزوم الدرس أو الكتابة أو المطالعة، أو التردد إلى الشيوخ وترك كل رفاهية وتنعُّم، مع تقوى وقناعة وورع وحسن مراقبة لله في السر والعلانية وترك رعونات النفس، من ثياب حسنة، ومآكل طيبة، وتجمل هيئة، بل طعامه جلف الخبز يابسه، ولباسه خام، وشيخانيته لطيفة، فرحمه الله ورضي عنه وجزاه عن العلم خيرًا.

ذكر صاحبه الشيخ أبو الحسن علي بن العطار أن الشيخ محيي الدين حدَّثه أنه كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسًا على مشايخه شرحًا وتصحيحًا، درسين في «الوسيط»، ودرسًا في «المهذب»، ودرسًا في «الجمع بين الصحيحين»، ودرسًا في

«صحيح مسلم» ودرسًا في «اللُّمَع» لابن جنّي، ودرسًا في «التعريف» ودرسًا في «أصول الفقه» ودرسًا في «أسماء الرجال»، ودرسًا في «أصول الدين».

قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله لي في وقتي، وخطر لي أن أشتغل بالطب، واشتريت كتاب «القانون»، فأظلم قلبي وبقيت أيامًا لا أقدر على الاشتغال فأفقت على نفسي وبعث القانون فأنار قلبي.

شيوخه

١- الشيخ الإمام القاضي الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستاني -رحمه الله- (٥٧٧-٦٦٢هـ).

٢- **شيخ الشيوخ:** شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الأوسي الدمشقي الأصل، ثم الحموي الدّار والوفاة، الشافعي المذهب الأديب الإمام العلامة مجمع الفضائل وشيخ الشيوخ (ت٦٦٢هـ).

٣- الحافظ الزَّين خالد بن يوسف بن سعد بن حسن بن مفرج أبو البقاء النَّابلسي ثم الدمشقي (ت ٦٦٣هـ).

٤- ابن البرهان العدل الصَّدر رضي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر بن فارس المضري الواسطي السَّفّار التاجر المعروف بابن البرهان (ت٦٦٤هـ).

٥- الإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع ضياء الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي (ت٦٦٨هـ).

٦-زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد

بن إبراهيم، مسند الشام وفقيهها ومحدثها الحنبلي الناسخ، (ت ٦٦٨هـ).

٧- مسند الشام ابن أبي اليُسر تقيُّ الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التَّنُوخي الكاتب المنشئ (ت ٦٧٢هـ).

٨- ابن الصيرفي المفتي المعمَّر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع الحرَّاني الحنبلي المعروف بابن الحبيشي (ت ٦٧٨هـ).

٩- الشيخ الإمام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي (ت ٦٨٢هـ).

١٠- الإمام العلامة الفقيه المفتي كمال الدين أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد ابن عثمان المغربي (ت ٦٥٠هـ).

١١- الشيخ الإمام العلامة مفتي الشام كمال الدين أبو الفضائل سلاَّر بن الحسن بن عمر بن سعيد الأربلي ثم الحلبي ثم الدمشقي (ت ٦٧٠هـ).

١٢- الإمام فقيه الشام وشيخ الإسلام المشهور بالفضل والخير والاتباع أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم الفَزَاري الشافعي تاج الدين الملقب بالفركاح لنحف في رجليه (ت ٦٩٠هـ).

١٣- القاضي أبو الفتح كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التَّفليسي (ت٦٧٢هـ).

١٤- أبو العباس جمال الدين أحمد بن سالم المصري النحوي نزيل دمشق (ت ٦٧٢هـ).

١٥- العلامة حجة العرب جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطَّائي الجيَّاني (ت ٦٧٢هـ).

ومن أشهر تلاميذه

١- الخطيب صدر الدين سليمان الجعفري.

٢- شهاب الدين أحمد بن جَعْوان.

٣- القاضي شهاب الدين الأربدي.

٤- المفتي علاء الدين ابن العطار.

٥- ابن أبي الفتح.

٦- المزِّي.

٧- محمد بن أبي بكر بن إبراهيم القاضي شمس الدين بن النقيب الشافعي الدمشقي.

٨- خطيب داريا أبو الربيع الهاشمي.

مؤلفاته

كانت جهوده -رحمه الله- منصبة على الحديث وعلومه والفقه والتربية واللغة والتراجم والسير. ومن مؤلفاته :

الكتب الحديثية:

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

رياض الصالحين.

الأربعين النووية.

خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام.

الكتب الفقهية:

المجموع - منهاج الطالبين - الفتاوى - التحقيق - دقائق المنهاج - روضة





صورة غلاف المخطوط

جزء الحروف والأصوات

تأليف الإمام العالم العلامة أبو زكريا النواوي

رحمة الله عليه

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الحافظ الورع إمام الشافعية
في وقته محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النواوي تغمده الله برحمته ورضوانه
الحمد لله المقدس عن مماثلة المحدثات المتعالي عن النقائص والتغيرات
المدعو بأنواع الألسن وأصناف اللغات الأزلي الأبدي خالق الأرض والسموات
أحمده على ما أهدى من المنح ومنح من الهدايات وأصلي على أنبيائه الذين طهروا الأرض
من الضلالات خصوصا على المبعوث آخر الرسالات المؤيد بالمعجزات الباهرات
والآيات البينات المشفع في الميقات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه
وذريته وتابعيهم صلاة دائمة مع الآنات والأوقات وبعد فلما ظهرت
الشكوك والشبهات وكثرت المطاعن والتمويهات وانتشرت مقالة ذوي الأهواء
والتعصبات وعمت بها البلوى في جميع الأقطار والجهات سألني من لعنايته
من الإخبار به واشتغاله من أعظم المثوبات أن أجمع له زبدا من أقوال المتقدمين
وعقائدهم ما عولوا عليه من الاعتقاد في الحروف والأصوات وما نقل عنهم في
ذلك من الاختلافات والتشنيع على ما ذهب إليه علماء الشرع ونقلة الأخبار
الثقات سالكا في ذلك طرق متأخري المتكلمين في المباحثات جاريا على
قواعد أهل النظر والمجادلات مختصر اللفظ بأوضح العبارات الوجيزات من غير
تعصب وميل بل رغبة في إظهار الحق ونصرة لما سلف عليه الصحابة والتابعون
رضي الله عنهم أجمعين وجمعنا وإياهم في دار كرامته وسائر أحبابنا ومشايخنا وإخواننا
إنه أجود الأجودين وأرحم الراحمين وأروي له ما ثبت عن النقل عن سيد المرسلين

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك والله أعلم. فصل

لا يجوز كتابة القرآن بشيء نجس ويكره كتابته على الجدران عندنا. فصل

أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه. قال أصحابنا وغيرهم

ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله صار الملقي كافراً. قالوا ويحرم توسده

بل توسد آحاد كتب العلم حرام. ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم عليه لأن

القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى. وقد قررت دلائل

استحباب القيام في الجزء الذي جمعته فيه. وروينا في مسند الدارمي

بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان يضع المصحف على

وجهه ويقول كتاب ربي كتاب ربي. فصل يحرم على المحدث مس

المصحف وحمله سواء حمله بعلاقته أو بغيرها سواء مس نفس المكتوب أو الحواشي

أو الجلد ويحرم مس الخريطة والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف

هذا هو المذهب المختار. ولو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب

أو كثر حتى لو كان بعض آية كتبت للدراسة حرم مس اللوح. فصل

ويمنع الصبي والمجنون الذي لا يميز من حمل المصحف لخوف من انتهاك حرمته وهذا

المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله. هذا الذي ذكرته

مذهب أصحابنا المحققين والمعتمد عليهم في التقليد والنقل أصحاب الجرح والتعديل

رضي الله عنهم أجمعين. اللهم اجعلنا شاهدين لك لا علينا ووفقنا وسائر أحبابنا

لمرضاتك وأمتنا على هذا المعتقد معتقد الصحابة والتابعين والمشايخ والعلماء

إنك مجيب الدعوات وأجمع بيننا وبين مشايخنا ومن أحببناه واجتماعنا في دار كرامتك

يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. ثم قال المصنف رحمه الله فرغنا منه ضحى الخميس الثالث

من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وستماية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الحافظ الورع إمام الشافعية في وقته محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرا النواوي تغمده الله برحمته ورضوانه:

الحمد لله المقدس عن مماثلة المحدثات المتعالي عن النقائص والمتغيرات، المدعو بأنواع الألسن وأصناف اللغات، لا إله إلا هو خالق الأرض والسموات، أحمده على ما أهدى من المنح ومنح من الهدايات، وأصلي على أنبيائه الذين طهورا الأرض من الضلالات، خصوصًا على المبعوث آخر الرسالات، المؤيد بالمعجزات الباهرات والآيات البينات، المشفع في الميقات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وتابعيهم صلاة دائمة مع الآناء والأوقات.

وبعد: فلما ظهرت الشكوك والشبهات، وكثرت المطاعن والتمويهات، وانتشرت مقالة ذوي الأهواء والتعصبات، وعمَّت بها البلوى في جميع الأقطار والجهات سألني من إجابته من الواجبات. وإسعافه من أعظم المثوبات، أن أجمع له زبد أقوال المتقدمين وغاية ما عولوا عليه من الاعتقاد في الحروف والأصوات، وما نقل عنهم في ذلك من الاختلافات، والتنصيص على ما ذهب إليه علماء الشرع ونقلة الأحاديث الثقات، سالكًا في ذلك طرق متأخري المتكلمين في المباحثات، جاريًا على قواعد أهل[1] النظر والمجادلات، مختصرًا لفظه بأوضح العبارات الوجيزات، من غير تعصب وميل بل رغبة في إظهار الحق ونصرة لما سلف عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين وجمعنا وإياهم في دار كرامته وسائر أحبابنا ومشايخنا وإخواننا إنه أجود الأجودين وأرحم الراحمين.

وأروي له ما ثبت به النقل عن سيد المرسلين وأشرف خلق الله من الأولين

---

(١) في هامش الأصل: أصحاب، وما أثبتناه هو ما في الأصل.

والآخرين محمد بن عبد الله رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين، فجاء هذا المختصر بحمد الله أنيسًا للحاضر وجليسًا للناظر، وقسمته بحمد الله فصولاً مشتملة على فنون من القواعد ونفائس من العقائد مما جمعته من كتب العلوم ومما أودعته من كتابنا المعروف بكتاب «التبيان في آداب جملة القرآن»[١] وغير ذلك وعلى الله اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي، اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويشتمل هذا المختصر على قسمين:

القسم الأول: في ذكر ما ننقله[٢] عن الشيخ الجليل الإمام المتقن الحافظ الأوحد فخر الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان الأرموي الشافعي رحمه الله فيما صنفه في كتابه الموسوم «بغاية المرام في مسألة الكلام»[٣].

والقسم الثاني: فيما وضعته في كتابنا الموسوم بكتاب «التبيان».

❁ ❁ ❁

---

(١) كتاب "التبيان" مشهور، وهو مطبوع عدة طبعات. ووجد عناية من كثير من المتأخرين، فمنهم من اختصره، ومنهم من شرحه.

(٢) في الأصل: نقله، والصواب ما أثبتناه.

(٣) وممن أفرد هذه المسألة بتأليف:

١ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي وكتابه هو: "الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم" وقد قام على تحقيقه الدكتور: محمد بن عبد الرحمن الخميس ونشرته مكتبة الفرقان -الرياض، عام(١٤١٩هـ).

٢ - عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين وكتابه هو "رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والفوقية" ونشرت هذه الرسالة ضمن مجموع "الرسائل المنيرية" عام (١٤٠٤هـ).

٣ - تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية. وكتابه هو: "قاعدة نافعة في صفة الكلام" ونشرت هذه الرسالة ضمن مجموع "الرسائل المنيرية" عام (١٤٠٤هـ).

القسم الأول

قال الشيخ أبو العباس في كتابه: فصل في الحروف. اعلم أن العلماء اختلفوا في الحروف هل هي قديمة في القرآن أو مطلقًا ؟

فذهب قوم إلى القدم مطلقًا إذ قدمها في صورة دون صورة تناقض محض.

وذهب قوم إلى قدمها في القرآن فقط، وذهب قوم إلى قدم حروف قائمة بهذه الحروف المرتبة.

والذي يدل على قدم الحروف على الإطلاق من كتاب الله تعالى وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] فرق بين ما خلق وبين ما علم فلو لم يكن ما علمه غير مخلوق وإلا لما كان لتخصيص أحدهما بالخلق دون الآخر فائدة.

والمراد بالبيان الحروف والكلام العربي في قول أهل التفسير.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وثبت بما تقدم إنما علمه غير مخلوق.

وذكر أهل التفسير أن الله تعالى لما أمر[١] الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام قالوا: كيف نسجد لمن نحن أعلم منه؟ فأظهر الله لهم أشباح المخلوقات كلها على وجه الماء، وقال لهم: إن كنتم أعلم من آدم فأنبئوني بأسماء هؤلاء فرجعوا إلى الاستغفار، وقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا فأنزل الله عز وجل على آدم تسعة وعشرين حرفًا، وألهمه أن وضع على كل شخص اسمًا فلفق الحروف

(١) في الأصل: أخبر، والصواب ما أثبتناه

بعضها إلى بعض، فقال: هذا شاة، وهذا بعير، وهذا فرس إلى أن سَمَّى جميع المخلوقات التي ستوجد[1].

الثالث: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥] وهذا نص على أن ما يكون بالقلم، تعليمه سبحانه وتعالى، وثبت بما تقدم أن ما هو تعليمه غير مخلوق، والتعليم بالقلم ليس إلا الحروف.

الرابع: هذه الحروف من علم الله لما سبق ولقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] أخبر تعالى أنه علم الكاتب الكتابة، والكتابة ليس إلا الحروف، وعلمه غير مخلوق بالإجماع.

الخامس: في القرآن آيتان جمعتا حروف المعجم:

إحداهما: في سورة آل عمران وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنـزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والثانية: آخر سورة الفتح[2].

فمن زعم أن الحروف مخلوقة فقد صرح بحدث الكتب المنزلة على الأنبياء من إله السماء.

السادس: لما اقتضت الحكمة الإلهية إثبات ما هو كائن في اللوح المحفوظ دل

---

(١) روي هذا عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. انظر "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم، و"تفسير مجاهد" (١/٧٣)، وتفسير عبد الرزاق (١/٦٥).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح الآية: ٢٩]

ذلك على قدم الحروف إذ لو لم تكن قديمة لكان ثَمَّ شيء خارج عن علمه تعالى وذلك محال.

ويدل على قدمها من حديث رسول الله ﷺ وجوه:

الأول: ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن ألف ب ت ث إلى آخرها، فقال: «**الألف من اسم الله الذي هو الله والباء من اسم الله الذي هو الباري**»[١] فاشتق لكل حرف حرفًا من صفات الله إلى آخر الحروف والسر فيه أن هذه الحروف مباني كتب الله المنْزلة بالألسن المختلفة ومباني صفاته القديمة وأسمائه الحسنى، فالقول بحدوثها يوجب تطرق الحدوث إلى ذلك، وقدمها ثابت بالإجماع.

الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينْزل عليها هذا، طوبَى لأجواف يوعى فيها هذا، طوبى لألسنة تتكلم بِهذا**[٢]».

وهذا صريح في تقدم الحروف قبل آدم والخصم لا يقول بذلك فيصير محجوجًا.

الثالث: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة**[٣]» .

---

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

(٢) رواه اللالكائي في "اعتقاد أهل السنة" (٣٦٩) وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٠٧) والدارمي (٣٤١٧) وابن خزيمة في "التوحيد" (١٠٩) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢٣٢) وابن عدي في "الكامل" (٢١٩/١) من حديث أبي هريرة وفيه إبراهيم بن مهاجر، وهو ضعيف.
قال ابن حبان: هذا متن موضوع "المجروحين" (١٠٨/١).
وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات" (١١٠/١).

(٣) رواه الطبراني في "الكبير" (١٢٦٥٠) و"الأوسط" (٣٩٣٧) وعبد الله بن أحمد في "السنة"=

فأثبت الله تعالى المناجاة بهذه الكلمات، والكلمات حقيقتها لا تعقل إلا بالحروف، واتصاف البارئ بما هو من لوازم المحدثات محال تعالى الله عن الحدث علوًّا كبيرًا.

والذي يدل على قدم الحروف من كلام العلماء وأخبار السلف والصلحاء وجوه:

الأول: ما نقل عن الإمام أحمد[١] رحمه الله في رسالته إلى أهل نيسابور وجرجان أنه قال: من زعم أن حروف الهجى مخلوقة فهو كافر لأنه سلك طريقا إلى البدعة، لأنه متى حكم بأنها مخلوقة فقد حكم بأن القرآن مخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر.

ونقل عنه أيضًا رحمه الله، أنه قال فيمن حلف لا يتكلم فقرأ القرآن أنه لا يحنث ولو كانت مخلوقة لحنث بالقياس على غيرها.

الثاني: ما روي عن أبي القاسم عبد الرحمن بن منده[٢] رحمه الله أنه قال:

(١٠٩٩) والبيهقي في "الشعب" (١٠٥٢٧) من طريق أبي مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا.

قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو مالك.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه جويبر، وهو ضعيف جدًّا "مجمع الزوائد" (٨/٢٠٣).

أقول: جويبر هذا هو ابن سعيد:

قال ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزاني: لا يشتغل به وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث. "ميزان الاعتدال" (٢/١٦١)

(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، والإمام حقًا وشيخ الإسلام صدقًا، توفي سنة (٢٤١هـ) "سير أعلام النبلاء" (٩/٤٣٤).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، الشيخ الإمام، المحدث، المفيد، الكبير، المصنف، أبو القاسم، ولد سنة (٣٨١هـ) وتوفي سنة (٤٧٠هـ) "سير أعلام النبلاء" (٦٣٤).

«من زعم أن حرفًا من حروف الهجى مخلوق فهو جهمي».

الثالث: ما روي عن القاضي أبي علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي[1] رحمه الله أنه قال: «أدركت مشايخ المذهب كلهم من أهل طبرستان وأصبهان والشام والجزيرة[2] وهم يعتقدون[3] أن الحروف غير مخلوقة فمن ادّعى عليهم غير ذلك فهو كذاب مفترى».

الرابع: قال البخاري[4] رحمه الله، كان يحيى بن سعيد القطان[5] أنه قال: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة.

قال البخاري[6]: حركاتُهم وأصواتُهم فأما القرآن المتلو المكتوب في المصاحف الموعى في الصدور فهو كلام الله ليس مخلوق، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي موسى أبو علي الهاشمي، عالي القدر، سامي الذكر، له القدم العالي والحظ الوافر عند الإمامين القادر بالله، والقائم بأمر الله، سمع الحديث من جماعة منهم محمد ابن المظفر، صنف كتاب الإرشاد، توفي سنة (٤٢٨هـ) "المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد" (٢/٣٤٢).

(٢) في الأصل: والشام والجزيرة والشام، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: يعتقدون، والصواب ما أثبتناه.

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، إمام الدنيا في زمانه، وطبيب المحدثين، كبير المحل، ولد في سنة (١٩٤هـ) وتوفي رحمه الله في سنة (٢٥٦هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٠/٢٧٧)

(٥) يحيى بن سعيد القطان، الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول، الحافظ، ولد في أول سنة (١٢٠هـ) وتوفي رحمه الله في سنة (١٩٨هـ) "سير أعلام النبلاء" [٨/١١٠].

(٦) انظر "خلق أفعال العباد" للبخاري (ص: ٤٧).
و"الاعتقاد" للبيهقي (ص: ١١٠).
و"سير أعلام النبلاء" (١٢/٤٥٤).

الخامس: ما روي عن ابن المبارك[١] رحمه الله أنه قال: الورق والمداد مخلوق فأما القرآن فليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله عز وجل[٢].

وروي عن إسحق بن راهويه[٣] نحو ما ذكرنا[٤].

قلت: فإشارات هؤلاء السادة الفضلاء والأئمة العلماء رحمهم الله إلى الاحتراز عن القول بحدوث الحروف صيانة الكلام العزيز عن تطرق الحدوث إليه بوجه من الوجوه، فلا سبيل إلى الخروج عما اعتقدوه فهم القدوة للإسلام والأنجم في الظلام.

وأما ما نقل عن أصحاب السير والأخبار:

فقد نقل عن ابن قتيبة[٥] في كتاب «المعارف» أن الله تعالى عوض آدم عن ولده هابيل شيث وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وأنزل عليه حروف المعجم في تسع وعشرين صحيفة.

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي ثم المروزي، الحافظ الغازي، أحد الأعلام، ولد سنة (١١٨هـ) وتوفي رحمه الله في سنة (١٨١هـ) "سير أعلام النبلاء" (٦٠٢/٧).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" (ص:١٥٦) واللالكائي في "أصول اعتقاد أهل السنة" (٢٥٥/٢) عن ابن المبارك وروى نحوه عن ابن مسعود مرفوعًا، ولكن فيه أحمد بن مهدي، وهو متروك الحديث. قال الحافظ ابن حجر: في إسناده غير مجهول، هو موضوع.

(٣) إسحاق بن راهويه، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أبو يعقوب، مولده سنة (١٦١هـ) وتوفي رحمه الله سنة (٢٣٨) "سير أعلام النبلاء" (٥٤٧/٩).

(٤) وعن عبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، والحسن، والعطاف بن قيس وغيرهم.

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، ذو الفنون، العلامة الكبير، ولي قضاء الدينور، وكان رأسًا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس، توفي رحمه الله سنة (٢٧٦هـ) "سير أعلام النبلاء" (٦٢٥)

وذكر ذلك النحاس[1] في كتاب «الحروف» والمعتمد في قدم الحروف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

و«كن» حرفان وليس المراد معنى «كن» إذ هو خروج عن صريح اللفظ وكون المعنى لو كان مقتضيًا الإيجاد لزم من ذلك قدم العالم وهو محال فلا يكون الأمر مقتضيًا، وحدوثها يستلزم إثبات حوادث لا أول لها وهو محال فلابد من الاعتراف بكون «كن» قديمة رفعًا لهذا التسلسل، وإذا ثبت ذلك في «كن» ثبت في الجميع لعدم القائل، فالفصل لا يقال هي متأخرة في الآية فتكون محدثة ضرورة كون المتأخر محدثًا لأنا نقول ذلك تأخر لفظي لا يتحقق إلا في الخارج وهو غير مشعر بالحدوث فإنه يقال في صفات الله تعالى حي، عالم، سميع، بصير، مع قدم الجميع بالاتفاق، لا يقال يلزم على هذا أن تكون المعاصي مأمورًا بها لكونها مرادة لله تعالى فتكون مندرجة تحت «كن» لأنا نقول يكون مأمورا بها من حيث إنها مرادة، وغير مأمور بها لكنها معصية، فإنا لو جعلنا التكوين واقعا بنفس الإرادة لزم منه قدم العالم ولا يلزم ذلك في «كن» إذ وجودها غير موجب، بل الموجب هو تعلق «كن» بالمراد بالقول المذكور في الآية إذ لو لم يكن كذلك لخرج ذكر القول في الآية عبثًا، والبارئ تعالى منزه عن ذلك، والاعتماد في قدم الحروف يظهر في دليل المسألة بالاستنتاج الصحيح، فليتأمل ذلك ففيه الكفاية والغنية للمستبصر بنور العلم والمستضيء بضياء الشرع.

لا يقال يلزم على ما ذكرتم من قدم الحروف، قدم كل ما يتخاطب به الناس في معايشهم وأمورهم ضرورة عدم انفكاك الحروف عن جميع ذلك لأنا نجيب من وجهين:

---

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل، المصري النحوي، أبو جعفر، العلامة إمام العربية، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد وأخذ عن الزَّجَّاج، وكان يُنَظِّر في زمانه بابن الأنباري وبنفطويه للمصريين، توفي سنة (٣٣٨هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٢/٧١).

أحدهما: أن الحروف التي يصدق عليها أنَّها قديمة وقعت تبعًا لما يتخاطب به الناس ولما هو كسبهم ومقدورهم فلا جرم لم يخبر فيها أحكام القرآن بل اكتسبت من متبوعها حكمه، ولا يقدح ذلك في قدمها، وهذا كما نقول في التفسير وكتب الفقه لما وقع القرآن تبعًا لما فيها اكتسب حكمها وكما أن الحبر والمداد اكتسب بوقوعه تبعًا لكتاب الله تعالى التعظيم والاحترام مع أنه في نفسه محدث بالإجماع فكذلك فيما نحن فيه اكتسب عكس ذلك للتبعية مع أن حقيقته لم تتغير[1] بل التغير يقع لأمور خارجة عارضة فهو بمثابة سكين قطعت بها مسكًا وعنبرًا فطاب ريحها ثم قطعت بها بصلاً فاكتسبت ضد تلك الرائحة مع أن جوهر السكين غير مختلف.

الثاني: الحروف كونها منطوقًا بها يخالف كونُها غير منطوق بها.

وحينئذٍ لا تنافي بين قدم ما به الموافقة وحدوث ما به المخالفة ضرورة كونُهما غيرين، وقد أشرنا إلى هذا في صدر هذا الفصل على أنا نقول: قضية الدليل أن يجري في الجميع أحكام القرآن لكن لما تعذر ذلك على الناس، إذ ليس في القوى البشرية الاحتراز عند التخاطب والتكالم عن الحروف، ولا يمكن إطباق جميع الخلق على السكوت أو استعمال الإشارات العقلية، فلا جرم سقط حكمه لهذه الضرورة.

دقيقة: اعلم أن جريان اليد بالقلم والمداد ونحن الخط ودقته وسقمه وجودته، واعوجاجه واستقامته، كل ذلك محدث والحروف التي[2] يتضمنه هذا المجموع قديم، وكذلك نقول في الصوت حركة اللسان والشفة، وصفاء الحنجرة وخشونتها، وغلظها ودقتها، والإسرار والإجهار، كل ذلك أيضا محدث لأن هذه

(١) في الأصل: يتغير، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: الذي، والصواب ما أثبتناه.

الأمور بأسرها من كسب الآدمي ومقدوره بإجراء الله تعالى العادة في ذلك كذلك، والذي يسمع عند تحقق هذا المجموع فهو الكلام القديم وقد أشار إلى هذا الإمام أحمد[١] رحمه الله فيما رواه ابناه صالح[٢] وعبد الله في كتاب «المحنة»[٣] أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو ضال مبتدع وقائل بما لم يقل به أحد من سلف الأمة.

فقد تلخص في هذه المقدمة حقيقة الكلام والحروف وما قيل فيهما فعند ذلك نشرع في المقصود وهو:

القسم الثاني

في تعيين محل النِّزاع وذكر البرهان عليه وإيراد الأسئلة والجواب عنها وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مسألة:

كلام الله ليس إلا الحروف والأصوات المفيدة لأمور الشرع المَنزلة على النبي ﷺ بنظم القرآن. وهو الموجود بين أظهرنا، الذى نتلوه بألسنتنا وتحفظه أولادنا ونكتبه فى مصاحفنا، وليس لله كلام سواه، هذا مذهبنا وبه قال الإمام

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، الإمام حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد، ولد سنة (١٦٤هـ) وتوفي رحمه الله سنة (٢٤٠هـ) "سير أعلام النبلاء" (٤٣٤/٩).

صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الأمام المحدث الحافظ الفقيه القاضي أبو الفضل البغدادي قاضى أصبهان كان عالمًا سخيًا جدًا توفي رحمه الله سنة (٢٦٦هـ) «سير أعلام النبلاء» (٣٦١/١٠)

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ولد سنة (٢١٣هـ) وكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد، كان ثقة ثبتا فهما وتوفي رحمه الله في سنة (٢٩٠هـ) "سير أعلام النبلاء" (٦٢/١١)

(٣) وانظر أيضًا "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣٩١/٢)

الشافعي[١] رحمه الله على ما نقل عنه أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر[٢].

وكذلك سئل عن رجل حلف بالطلاق الثلاث لا تكلمت، فقرأ القرآن هل يحنث؟ فقال: لا يحنث لأن القرآن كلام الله وليس بكلام الآدميين[٣].

وقد نقلنا فيما سلف بعض ما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله، وبه قال حماد بن زيد[٤] وحماد بن سلمة[٥]، ويزيد بن هارون[٦]، وعبد الرحمن بن مهدي[٧]،

---

(١) محمد بن إدريس الشافعي، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي وكان من أعقل الناس، ولو جمعت أمة لوسعهم عقله، توفي رحمه الله في سنة (٢٠٤) "سير أعلام النبلاء" (٣٧٧/٨).

(٢) انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣٩٠/٢-٣٩١).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدِّث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البعري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، توفي رحمه الله في سنة (١٧٩هـ) "سير أعلام النبلاء" (٣٤٥/٧).

(٥) حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي البزار، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل، وكان بحرًا من بحور العلم، توفي رحمه الله سنة (١٦٧هـ) "سير أعلام النبلاء" (٣٦٦/٧).

(٦) يزيد بن هارون بن زاذي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد السُّلمي مولاهم الواسطي، الحافظ، كان حافظًا متقنًا، وكان رأسًا في السنة معاديًا للجهمية منكرًا تأويلهم في مسألة الاستواء. توفي رحمه الله سنة (٢٠٦هـ) "سير أعلام النبلاء" (٢٢٨/٨).

(٧) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، مولاهم البصري اللؤلؤي، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، قاله أحمد بن حنبل، طلب هذا الشأن، وهو ابن بضع عشرة سنة، قال الشافعي: لا أعرف نظير هذا في الشأن، وكان قدوة في العلم والعمل. توفي رحمه الله سنة (١٩٨هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٢١/٨).

وإسماعيل بن علية[١]، وسفيان بن عيينة[٢]، ويوسف بن الماجشون[٣] وغير هؤلاء من الأئمة.

والسادات من كبار العلماء والمحدثين ممن يضيق هذا المختصر عن ذكرهم وتعدادهم[٤]

وذهب أبو الحسن الأشعرى[٥] وأتباعه كأبى إسحاق الإسفراييني[٦]. وأبي

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الإمام، العلامة، الحافظ الثبت، أبو بشر الأسدي، مولاهم البصري الكوفي الأصل، المشهور بابن عُلَيَّة، وهي أمه، ولد سنة مات الحسن البصري سنة عشر ومائة، كان فقيها، إمامًا، مفتيًا، من أئمة الحديث. توفي رحمه الله سنة (١٩٣هـ). "سير أعلام النبلاء" (٨/٦٣).

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، مولده في الكوفة في سنة سبع ومائة، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز. توفي رحمه الله في سنة (١٩٨هـ) "سير أعلام النبلاء" (٧/٦٥٣).

(٣) يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، الإمام المحدث المعمر، أبو سلمة التيمي المنكدري مولاهم المدني، وثقه يحيى بن معين، وأبو داود، وقال أبو حاتم: لا بأس به. توفي رحمه الله سنة (١٨٥هـ). "سير أعلام النبلاء" (٧/٥٩٧).

(٤) انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢/٣٨٥-٣٩٩) فإنه ساق من قال بذلك من أهل البصرة، والكوفة، ومصر والعواصم والثغور، وخراسان، وغيرهم.

(٥) علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضّار، الأشعري اليماني البصري، العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن، كان عجبًا في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصدق للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم. توفي رحمه الله سنة (٣٢٤ أو٣٣٠هـ) "سير أعلام النبلاء" (١١/٥٤٠).

(٦) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الأستاذ أبو إسحاق، الإمام الأوحد العلامة، الأصولي الشافعي، المُلَقَّب ركن الدين، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب التصانيف الباهرة. توفي رحمه الله سنة (٤١٨هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٥).

بكر بن فورك[١]، وأبي بكر الباقلاني[٢]، وأبي القاسم القشيرى[٣]، وأبي القاسم الإسفراييني، وأبي محمد الجويني[٤] وأبي سهل الصعلوكي[٥] وغيرهم.

إلى أن هذه الحروف والأصوات التى نتلوها ويحفظها أولادنا ونرجع إليها فى حلالنا وحرامنا، المنَزلة على النبى ﷺ بنظم القرآن، محدثة وأنَّها عبارة ودلالة على الكلام القديم ولم ينزل على النبى ﷺ كلام قديم.

ووجه البرهان على ما ادعيناه أن نقول كلام الله تعالى منَزل، والمنَزل ليس إلا الحرف والصوت ينتج أن كلام الله هو الحرف والصوت، فإذا أثبتنا أن كلام الله

---

(١) ابن فُوْرَك، الإمام الأوحد العلامة الصالح، شيخ المتكلمين، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فَوْرَك الأصبهاني، كان أشعريًا رأسًا في الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري. توفي رحمه الله سنة (٤٠٦هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٣/١٣٠).

(٢) ابن الباقلاني، الإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، صاحب التصانيف، وكان يضرب به المثل في الفهم والذكاء، أخذ القاضي أبو بكرة المعقول عن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب أبي الحسن الأشعري. توفي رحمه الله في سنة (٤٠٣هـ). "سير أعلام النبلاء" (١٣/١١٤).

(٣) القشيري الإمام الزاهد، القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة لقشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر ولد سنة (٣٧٥هـ) كان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق. توفي رحمه الله سنة (٤٦٥هـ). "سير أعلام النبلاء" (١٣/٥٦٤).

(٤) الجويني، شيخ الشافعية، أبو محمد، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيُّوية الطائي السنبسي الجويني، والد إمام الحرمين، كان فقيهًا مدققًا محققًا مفسرًا نحويًا، توفي رحمه الله سنة (٤٣٨هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٣/٤٠٣).

(٥) الصعلوكي، الإمام ذو الفنون أبو سهل، محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الحنفي العجلي الصعلوكي النيسابوري، الفقيه الشافعي، المتكلم، النحوي، المفسر، اللغوي، الصوفي، شيخ خراسان، حبر زمانه، وبقية أقرانه، أفتى ودرَّس بنيسابور نيفًا وثلاثين سنة. توفي رحمه الله سنة (٣٦٩هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٢/٣٤١).

هو الحرف والصوت، وذكرنا الدليل على المقدمات، ثبت كونه قديمًا بالإجماع.

وبيان كونه منَزلاً من وجهين:

أحدهما: الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي أَنـــزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنـــزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣]، ﴿إِنَّا أَنـــزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّا أَنـــزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنـــزِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٣]، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٤] وأمثال هذا كثير في الكتاب العزيز.

فهذه الإضمارات عائدة إلى كلام الله تعالى بالإجماع أو لضرورة عدم عودها إلى غير كلام الله تعالى.

والوجه الثاني: إجماع الصحابة واتفاقهم على أن كلام الله تعالى منَزل والذي يحقق ذلك تتبع جريانِهم، وأن هذا الأمر كان مقررًا في عقائدهم جازمين، إذ لو تطرق إلى أحد منهم في ذلك شك أو شبهة لأزالوه بالسؤال للنبي ﷺ مع ما كانوا فيه من الحمية في الدين والاحتراز عن الوقوع في الجهالات، وحينئذ يعلم أن عدم سؤالهم مع كثرة إطلاق لفظ النُزول فيما بينهم وانتظارهم ذلك من رسول الله ﷺ في وقائعهم دليل على إجماعهم واتفاقهم على أن كلام الله منزل على نبيه.

ونحن نشير إلى جملة من تلك الوقائع التي يعسر إحصاؤها ليحصل الجزم بأنّهم كانوا معتقدين ذلك:

فمن ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ الحديث في أول صحيح البخاري[1].

---

(١) رواه البخاري (٢-٣٠٤٣) ومسلم (٢٣٣٣)

ومنها: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: «أغفي النبي ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسمًا فإما قال وإما قالوا يا رسول الله: لم ضحكت؟ قال: «إنه أنـزلت عليَّ آنفًا سورة فقرأ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ حتى ختمها»[١] [رواه مسلم وأبو داود والنسائي].

ومنها: ما روي عن عبد الحميد صاحب الزيادي قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢] [اتفق عليه البخاري ومسلم].

ومنها: حديث الإفك وقول عائشة رضي الله عنها: «ما كنت ظننت أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولأنا أصغر في نفسي أن يتكلم الله بالقرآن في أمري»[٣] الحديث بطوله حتى أنزلت عليه فلما أنزل الله إلى آخره اتفقا على صحته.

وعن الحسن في قوله تعالى: [٤] ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] قال: حدثني معقل بن يسار أنَّها نزلت فيه [اتفق عليه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي][٥].

۞ وعن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أخذنا نفرًا من

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠) وأبو داود (٧٤٧)، والنسائي (٩٠٤) وفي "الكبرى" (٩٧٧) و(١١٧٠٢).
(٢) رواه البخاري (٤٣٧١) و(٤٣٧٢) ومسلم (٦٩٥١).
(٣) رواه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٦٩٥١).
(٤) في الأصل: ولا، والصواب ما أثبتناه.
(٥) رواه البخاري (٤٢٥٥) و(٤٨٣٧) و(٥٠٢١) وأبو داود (٢٠٨٧) والترمذي (٢٩٨١) والنسائي في "الكبرى" (١١٠٤١) و(١١٠٤٢).

أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه[١] فأنزل تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حتى ختمها[٢] [الصف: ١] [رواه أبو عيسى الترمذي].

❁ وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما، أنه قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة، إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾[٣] [الأحزاب: ٥] [أخرجه الترمذي والنسائي].

❁ وفي جامع الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي، سمع عند وجهه كدوي النحل»[٤].

❁ وفيه أيضًا من حديث الصديق رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي ﷺ فأنزلت

---

(١) في الأصل: لعلمناه، والصواب ما أثبتناه.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٠٩) وأحمد في "المسند" (٢٣٢٧٦) والدارمي (٢٣٠١) وابن حبان في "صحيحه" (٤٥٤٩) والحاكم في "المستدرك" (٢٣٨٤) (٢٣٨٥) (٢٣٨٧) والبيهقي في "الكبرى" (١٩٠١١) وفي "الشعب" (٤٢٠٦) من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام. قال الترمذي: وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي. وروى ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال ابن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام، أو عن أبي سلمة عنعبد الله بن سلام. وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وعلى شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) رواه البخاري (٤٥٠٤) ومسلم (٦٢١٢) والترمذي (٣٢٠٩) و(٣٨١٤) والنسائي في "الكبرى" (١١٣٩٦). وقد قصر الأرموي وتابعه المصنف رحمه الله فعزاه للترمذي والنسائي وهو في الصحيحين كما ترى.

(٤) رواه الترمذي (٣١٧٣) وأحمد في "المسند" (٢٢٤) وعبد الرزاق في "المصنف" (٦٠٣٨) والبزار (٣٠) والنسائي في "الكبرى" (١٤٣٩) والحاكم (١٩٦١).
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
نقول: فيه يونس بن سليم مجهول، لم يوثقه سوى ابن حبان.

هذه الآية﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]»[١].

۞ وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جاء ابن أم مكتوم وكان أعمى فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: كيف بمثلي وأنا ضرير فنزل تلك الساعة ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾[٢] [النساء: ٦٥]».

۞ وفي حديث عبادة بن الصامت وكان عقبيًا بدريًا أحد نقباء الأنصار رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد[٣] له وجهه. فأنزل الله ذات يوم فلقي ذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني[٤].

۞ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن اليهود قالوا للمسلمين: من أتى امرأة مدبرة جاء ولدها أحول فأنزل الله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[٥] [البقرة: ٢٢٣].

۞ وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه السلام بالوحي فكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرق منه فأنزل الله هذه الآية[٦].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٣٩) وقال: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل. ومولى ابن سباع مجهول. وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح أيضًا. وفي الباب عن عائشة.

(٢) رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٤٨٨٩).

(٣) قال ابن فارس: ربد: الراء والباء والدال أصلان: أحدهما لون من الألوان، والآخر الإقامة، فأول الرُّبْدة، وهو لون يخالط سواده كُدرة غير حسنة "معجم مقاييس اللغة" (٤١٦).

(٤) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٥) رواه البخاري (٤٢٥٤) ومسلم (١٤٣٥).

(٦) رواه البخاري (٤٦٤٤) ومسلم (١٠٠٤).

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: «مكث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين»[١].

۞ وعن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما أنزلت سوة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل ركبت إليه»[٢].

۞ وعن ابن إسحق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت: براءة[٣].

وروي عن عثمان بن عطاء [٤] عن أبيه عن ابن عباس قال: «أول ما أنزل من القرآن بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ ثم﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ثم ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ثم﴿تَبَّتْ﴾ ثم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ثم﴿سَبِّحِ﴾ ثم﴿وَاللَّيْلِ﴾ ثم﴿وَالْفَجْرِ﴾ ثم﴿وَالضُّحَى﴾ ثم﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ثم﴿وَالْعَصْرِ﴾ ثم﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ ثم﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم﴿الْكَوْثَرَ﴾ ثم﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾ ثم﴿المعوذتين﴾ على الاختلاف ثم﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم﴿وَالنَّجْمِ﴾ ثم﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ ثم﴿وَالشَّمْسِ﴾ ثم﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ثم﴿وَالتِّينِ﴾ ثم﴿لِإِيلَافِ﴾ ثم﴿الْقَارِعَةُ﴾ ثم﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ثم﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ ثم﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ ثم﴿أَرَأَيْتَ﴾ ثم﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ثم﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ثم

(١) رواه البخاري (٤١٩٥) و(٤٦٩٤).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٦) ومسلم (٦٢٨٣).

(٣) رواه البخاري (٤٣٧٧) ومسلم (٤١٢٩).

(٤) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو مسعود المقدسي، أصله من بلخ، ضعفوه في الحديث "تهذيب التهذيب" (١٢٣/٧).

﴿الأعراف﴾ ثم قل أوحي ثم ﴿يس﴾ ثم ﴿الفرقان﴾ ثم ﴿الملائكة﴾ ثم ﴿كهيعص﴾ ثم ﴿طه﴾ ثم ﴿اقْتَرَبَتِ﴾ ثم ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ ثم ﴿الشعراء﴾ ثم ﴿النمل﴾ ثم ﴿القصص﴾[١] ثم ﴿بني إسرائيل﴾ ثم «يونس»[٢] ثم «هود» ثم «يوسف» ثم «الحجر» ثم «الأنعام»[٣] ثم ﴿والصافات﴾ ثم «لقمان» ثم «سبأ» ثم «الزمر»[٤] ثم ﴿حم المؤمن﴾ ثم ﴿حم السجدة﴾ ثم ﴿حم عسق﴾ ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف[٥] ثم ﴿والذاريات﴾ ثم ﴿هل أتى على الإنسان﴾ على الاختلاف ثم الغاشية ثم الكهف[٦] ثم النحل[٧] ثم نوح ثم إبراهيم ثم الأنبياء ثم المؤمنون ثم ﴿آلم تنـــزيل السجدة﴾ ثم والطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم ﴿عم يتساءلون﴾ ثم ﴿والنازعات﴾ ثم انفطرت ثم انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم ﴿ويل للمطففين﴾.

فهذه خمسة وثمانون موضعًا[٨] كلها مكية.

ثم أول ما نزل بالمدينة: فاتحة الكتاب ثم البقرة ثم الأنفال[٩] ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم ﴿إذا زلزلت﴾ ثم الحديد ثم الصف ثم سورة محمد ﷺ ثم الرعد ثم الرحمن ثم الطلاق ثم ﴿لم يكن﴾ ثم «الحشر» ثم ﴿إذا جاء

---

(١) إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾

(٢) إلا قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَ يُؤْمِنُ بِهِ﴾

(٣) إلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنـــزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾

(٤) إلا قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾.

(٥) إلا قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾.

(٦) إلا قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾.

(٧) إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾.

(٨) هذه [٨٤] موضعا فقط، و[ألهاكم التكاثر] تمام (٨٥)، والله أعلم.

(٩) إلا قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾.

نصر الله﴾ ثم النور ثم الحج[١] ثم المنافقون[٢] ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة فهذه ثمانية وعشرون[٣] سورة مدنية

وشيوع نزول كلام الله بل نزول كتبه أظهر من أن يحتاج إلى إقامة الدليل عليه.

۞ **فقد** روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله! كم كتاب أنزل الله؟ قال: « **مائة كتاب وأربعة كتب، أنـزل على آدم عشرة صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة**[٤] **وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنـزل على موسى التوراة، وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وأنـزل على نبيكم الفرقان**[٥]»

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت التوراة على موسى لست خلون من شهر رمضان، وأنزل الزبور على داود لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل الفرقان جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وصحف إبراهيم أنزلت عليه في أول ليلة من شهر رمضان»[٦].

---

(١) إلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ ﴾ إلى قوله تعالى [عقيم].

(٢) إلا قوله تعالى: ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾.

(٣) هذه [٢٧] موضعًا فقط، و﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ ﴾ تمام [٢٨] والله تعالى أعلم.

(٤) في الأصل: صحائف، والصواب ما أثبتناه.

(٥) رواه الطبراني في "التاريخ" (١/ ٩٦) وابن حبان في "الصحيح" (٣٦١) و"الموارد" (٩٤) في حديث طويل، وفيه يحيى بن يحيى الغساني، كذبه أبو حاتم وأبو زرعة. ووثقه الطبراني وابن حبان.

(٦) رواه أبو يعلى (٢١٩٠) من حديث جابر، وفيه سفيان بن وكيع، وهو ضعيف، ورواه أحمد في "المسند" (٤-١٠٧) والطبراني في "الكبير" (٢٢/ ٧٥) وفي "الأوسط" (٣٧٤٠) والبيهقي في "الكبرى" (١٨٤٢٩) من حديث واثلة وفيه عمران القطان، ضعفه يحيى، وأبو داود، والنسائي ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث.

۞ وروي عن مقاتل بن سليمان[١] أنه قال: «أنزل الله الفرقان من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى السفرة وهم الكتبة، فكان ينْزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر ما ينْزل به جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من العام المقبل، حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر، ثم نزل به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ في الأيام، وقبضه جبريل من السفرة في عشرين شهرًا وأدى إلى النبي ﷺ في عشرين سنة».[٢]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أنزلت عليَّ آيات ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلهن، وهن فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني**»[٣]

وما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»[٤] فالمراد به على سبع لغات في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ولهذا قال الشعبي: الحروف واحدة لكن المختلف لغات القوم.

وروي عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض

---

(١) مقاتل بن سليمان البلخي، أبو الحسن، كبير المفسرين، يروي عن مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وعطاء، وابن سيرين، وعمرو بن شعيب، وغيرهم. قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. وقال الذهبي: أجمعوا على تركه. توفي رحمه الله سنة (١٥٠هـ) أو بعدها. "سير أعلام النبلاء" (١٥٤/٧).

(٢) لا أرى هذا الخبر أتى إلا من قِبل مقاتل، وقد وصفه وكيع بالكذب، وقال النسائي: كان مقاتل يكذب. وقال العباس بن مصعب: كان مقاتل لا يضبط الإسناد. وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث. "ميزان الاعتدال" (٦/٥٠٥-٥٠٦؛ ٥٠٧-٥٠٧).

(٣) رواه الترمذي (٣١٢٥) بنحوه من حديث أبي بن كعب، وروى البخاري نحوه (٤٢٠٤) من حديث سعيد بن المعلى.

(٤) رواه البخاري (٢٢٨٧) ومسلم (١٨٩٦).

أسفاره وعمر رضي الله عنه يسير ليلاً معه، فسأل عمر عن شيء فلم يجبه، ثلاث مرات لا يجيبه، قال عمر: فتقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن. فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «**لقد أنزل عليَّ الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾** [الفتح: ١]»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له. فأنزل الله **﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾**[2] [هود: ١١٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنـــزل ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾**[3] [مريم: ٦٤]».

وعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «**أي عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقالا له: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر ما تكلم به أن قال: على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: **لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية**[4] [التوبة: ١١٣]».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفى عبد الله بن أُبَي، صلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه. فأنزل الله عليه **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾**[5] [التوبة: ٨٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣) ومسلم (٦٩٣٢).

(٣) رواه البخاري (٤٤٥٤).

(٤) رواه البخاري (٤٣٩٨) ومسلم (١٣١).

(٥) رواه البخاري (٤٣٩٣) و(٤٣٩٥) ومسلم (٦١٥٧).

فعلم بمجموع هذه الأدلة أن نزول كلام الله على أنبيائه متفق عليه بين الفرق بأسرها، فمنكر ذلك يكون خارقًا للإجماع لا يعتد به، سيما من خرق إجماع الصحابة[١] فيما هو من أصول الدين ودعائمه، فإنَّهم رضوان الله عليهم أجمعوا على ذلك من غير أن يخطر لهم حقيقة أو مجازًا في معنى النزول، فإن هذا الأمر من أهم الأمور في الدين وعليه بنيان قواعد شرائع المسلمين، فلما أهملوا ذلك ولم يتعرضوا إليه، دل على اتفاقهم مع ما قلنا، ولا يمكن إطباق جميع الصحابة وهم نقلة هذا العلم وأصول الدين وأصحاب العربية واللسان والفصاحة على استعمال المجاز في صور لا تعد ولا تحصى، فيصير هذا الإجماع كإجماع المسلمين على أن المدفون بيثرب في الحجرة المحجوج[٢] محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقًّا، وأن الناس بأسرهم إذا وصلوه حيَّوه وسلموا عليه وتضرعوا بين يديه كأنَّهم شاهدوه عيانًا من غير أن يخطر لهم أن المدفون ثم روحه أم جسده أم المجموع فاحتمال خطران هذا الخاطر لأحد من أصحاب الخيالات الفاسدة لا يقدم

(١) قال شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي (ت: ٧٦٣): لا يختص الإجماع بالصحابة، وإجماع كل عصر حجة عند أحمد وعامة الفقهاء والمتكلمين، خلافًا لداود وأصحابه، وعن أحمد مثله، قال ابن عقيل: وصرفها شيخنا عن ظاهرها بلا دليل.

وقال بعض أصحابنا: لا يكاد يوجد عن أحمد احتجاج بإجماع بعد عصر التابعين أو بعد القرون الثلاثة.

لنا عموم الأدلة. احتجوا: بظاهر الآيات السابقة، فكانوا كل الأمة، وليس من بعدهم كلها دونهم، وموتهم لم يخرجهم منها.

رد: فيقدح موت الموجود حين الخطاب في انعقاد إجماع الباقين، ومن أسلم بعد الخطاب لا يعتد بخلافه.

قالوا: ما لا قطع فيه سائغ فيه الاجتهاد وبإجماع الصحابة، فلو اعتد بإجماع غيرهم تعارض الإجماعان.

رد: لم يجمعوا على أنها اجتهادية مطلقًا، وإلا لما أجمع من بعدهم فيها لتعارض الإجماعين، وبلزومه في الصحابة قبل إجماعهم، فكان مشروطًا بعدم الإجماع "أصول الفقه" (٢/٤٠٢-٤٠٣).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: المحجوج إليه.

في أصل الإجماع، فكذلك توهم كون هذا المنقول حقيقة أو مجازًا لا يقدح في إجماع الصحابة على حقيقة الإنزال.

دليل آخر في بيان تحقيق الإجماع بالنسبة إلى جمهور الإسلام: أن كلام الله منزل على نبيه ﷺ حقيقة، أنه لو قام شخص من الناس في أي زمان ومكان في محفل عظيم جامع للعلماء والفضلاء والأذكياء وقال بلسان وصوت عال يسمعه الحاضر أن كلام الله منزل على نبيه محمد ﷺ، لما أنكر عليه أحد ولسارعوا إلى تصديقه، ولو عكس المقالة لسارعوا عليه، ولتطابق عليه الناس إما على قتله، وإما على قلة عقله، وإما على تكفيره وجهله، ومن كابر هذا المقال فليجرب بنفسه هذا الحال ليختبر حينئذ المآل.

وشيء هو مقرر في أذهان العقلاء وعقائدهم على هذا الحد لا يكون جحده إلا مكابرة.

والعجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأن كلام الله منَزل على نبيه، ومكتوب في المصاحف، ومتلوًّا بالألسنة على الحقيقة، ثم يقولون: المنَزل هو العبارة، والمكتوب غير الكتابة، والمتلو غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة وتعقبات باردة ركيكة.

ويكفي في دحض هذا المعتقد كونُهم لا يستطيعون على التصريح به بل هم فيه على نحو من المراء.

وسنبين في خاتمة الكتاب حقيقة الكلام في هذه المباحثات إن شاء الله تعالى.

يعلم بما ذكرنا من الآيات والأخبار المتضمنة إجماع الصحابة وإجماع غيرهم من العلماء والعقلاء أن كلام الله القديم منَزل على نبيه محمد ﷺ حقيقة لا مجازًا، والمنزل ليس إلا الحرف والصوت، إما بالإجماع أو لاستحالة نزول المعنى القائم، فتعين أن يكون الحرف والصوت هو كلام الله ضرورة انعقاد الإجماع

على تحققه ونزوله، ويلزم من ذلك قدمه بالإجماع.

فإن قيل: نسلم أن كلام الله قديم، لكن لا نسلم كونه منَزلاً، وما ذكرتم من الآيات والأخبار ودعوى الإجماع، كل ذلك لا يدل على أن القديم منزل، بل يدل على نزول هذه العبارة عن ذلك القديم، وليس ذلك إلا عين مذهبنا فإنا نسلم أن عبارة القديم ودلالته منَزلة والكلام القديم عندنا غير ذلك وهو قائم بذات الله تعالى، ومستحيل نزوله وجميع الإطلاقات الواردة في الآيات والأخبار كلها بطريق المجاز لفهم الله منها ولما استحال نزول القديم وورود التغيرات عليه، وجب حمل النزول في هذه الإطلاقات على المجاز ليكون ذلك تقريرًا للقواعد العقلية ونسجًا على منوال اللغة في استعمال المجاز الصادف عن الحقيقة، على أنا نقول الكلام على بطلان مذهبكم من عشرين وجهًا:

الأول: أن ما ذكرتم مخالف لبديهة العقل فيكون مردودًا لأنا نشاهد محالَّ هذه الحروف قبل تسطيرها خالية عنها، ثم بعد ذلك نشاهدها[1] موجودة، والقديم مستحيل بعد أن لم يكن.

الثاني: هذه الحروف يلازمها التركيب وهو من لوازم الأجسام ولازم المحدث محدث.

الثالث: يلزم تنجيس القديم فيما إذا كتب بالحبر النجس وقول ذلك قبح في الإسلام.

الرابع: هذه الحروف المشاهدة في هذا المصحف المعين مثلاً إما أن تكون قديمة أو لا، والأول يلزم منه تعدد القدماء، ضرورة أنها غيرها. والثاني هو مذهبنا.

الخامس: لو حلت الصفة القديمة بهذا المحل المعين فإما أن تفارق ذات الباري أو لا، والأول يلزم منه خلو ذاته عن هذه الصفة. والثاني يلزم منه قيام الشيء

---

(١) في الأصل: نشاهده، والصواب ما أثبتناه.

الواحد بالمحلين، وكل واحد منهما محال، فالحلول محال.

السادس: النصارى لما أثبتوا على زعمهم حلول الكلمة القديمة في عيسى كفرهم جميع المسلمين، وما صرتم إليه من المعتقد أعظم من ذلك إذ هو حلول ما لا يحصى ويعد من القدماء فيما لا يحصى ويعد من المحدثات.

السابع: الباري تكلم بهذه الحروف دفعة أو التعاقب فإن كان الأول فالذي نسمعه عين كلام الله ضرورة كونه متعاقبًا، وإن كان الثاني فيكون محدثًا لأن الأول لما انقضى وثبت عدمه امتنع قدمه.

الثامن: إذا كتب إنسان آية من القرآن في محل ثم محى ما كتبه، فذلك المحو والانعدام إما أن يكون واردًا على القديم أو لا، والأول محال لما فيه من انعدام القديم، والمشاهدة الحسية توجب لنا القطع بورود المحو والانعدام على هذه الحروف، فيلزم أن لا تكون قديمة ضرورة لتحقق الانعدام فيها.

التاسع: مخارج الحروف معلومة عند سيبويه ستة عشر مخرجًا، للحلق منها ثلاثة مخارج لسبعة أحرف، فأقصاها مخرج الهمزة والألف والهاء، وأوسطها العين والحاء وأدناها إلى الفم الغين والخاء وحروف اللسان على أربعة أقسام:

أقصى اللسان، وطرفه، ووسطه، وحافتاه.

فأقصى اللسان: له مخرجان لحرفين، فالقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك، والكاف من أقصى اللسان مستقبلاً من أعلى الحنك محاذيًا موضع القاف من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك مخرج واحد للشين. والجيم والياء.

ومن طرف اللسان خمسة مخارج لأحد عشر حرفًا، فإما الطاء والتاء والدال من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا.

. والظاء والثاء والذال من مخرج واحد وهو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا.

والصاد والزاي والسين من مخرج واحد وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا.

والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان وما يتصل بالخياشيم.

والراء من مخرج واحد وهو طرف اللسان غير أنه أدخل في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام.

ولحافة اللسان مخرجان لحرفين: فمن حافة اللسان من أقصاها وما يلي الأضراس مخرج الضاد، ومن الناس من يخرجها من الجانب الأيمن، ومن الناس من يخرجها من الجانب الأيسر وهم الأكثر، وخروجها من هذا كخروجها من هذا.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى ما يلي الثنايا مخرج اللام.

وللشفة مخرجان لأربعة أحرف:

فالفاء لها مخرج واحد وهو باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، والباء والميم والواو مخرجهن ما بين الشفتين غير أن الشفتين تنطبقان بالميم والباء ولا ينطبقان بالواو بل ينفتحان.

والنون الساكنة والتنوين مخرجهما من الخياشيم.

وقال الفراء وقطرب وابن كيسان: المخارج أربعة عشر مخرجًا، فجعلوا الراء واللام والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان.

وذكر أبو عمرو الداني[1] أرجوزة في هذا المعنى شعرًا فقال:

تسع وعشرون حروف المعجم فسبعة للحلق منها فاعلم

---

(١) أبو عمرو الداني الإمام الحافظ، المجود المقرئ، الحاذق، عالم الأندلس، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم الأندلسي القرطبي، ثم الداني ويعرف قديمًا بابن الصيرفي، مصنف "التيسير" و"جامع البيان" وغير ذلك توفي رحمه الله سنة (٤٤٤هـ) "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٤٨١).

الهـاء والهمـزة قبـل والألـف والحاء والعـين فميـز مـا أصـف
والخاء والغين كما بينـت لـك والكاف والقاف فمن أقصى الحنك
والجيم والشـين وحـرف اليـاء مـن وسـط اللسـان باسـتواء
ومخرج الـدال وحـرف الطـاء بـين الثنايـا مـع حـرف التـاء
والتـاء ثم الطـاء بعـد الـدال مـن طـرفي هـذين باعتـدال
والصاد والـزاي نعـم والسـين مـن الثنايـا طـرف تكـون
في مـذهب الفـراء والحـربي كمـذهب ابـن قنـبرا البصـري
بـل قـال إن الـلام لاسـتواها من حافـة اللسـان مـن أقصـاها
ومخـرج التنـوين وهـو غنـة مـن داخـل الخيشـوم فأعلمنّـه
والضـاد تنفـرد عـن سـواها بحافـة اللسـان مـن أدناهـا
إلى الذي تلـي مـن الأضـراس وقل مـن يحكمهـا مـن النـاس
وأحرف والثنيـة منـها الفـاء وهـي مـن باطنـها والبـاء
والمـيم والـواو وثـلاث هنـه ما بـين ضـم الشـفتين هنـه[1]

---

(١) ولأبي عمرو نظم عظيم في هذه المسألة التي نحن بصددها، ولقد آثرت أن أذكره لنفاسته. قال رحمه الله تعالى:

كَلّمَ موسى عبـده تكليمًـا ولم يـزل مـدبرًا حكيمًـا
كلمـه وقولـه قـديم وهـو فـوق عرشـه العظـيم
والقول في كتابـه المفصـل بأنـه كلامـه المنـزل
على رسوله النبي الصـادق لـيس بمخلـوق ولا خـالق
من قال فيه أنه مخلوق أو محـدث فقولـه مـروق
الوقف فيه بدعـة مضـلة ومثل ذاك اللفـظ عنـد الجّلـة
كـلا الفـريقين الجهميـة الواقفـون فيـه واللفظيـة

ولهذا النظم صلة، انظر "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٤٨٤).

وإنما حكيت لك هذه المخارج مشروحة لتعلم أنَّها كلها جسمانية، ولا تحقق للحروف إلا بها، والبارئ منَزه عن ذلك كله.

العاشر: ما صرتم إليه متحقق فيه قبل وبعد، وهما من خواص المحدثات ولوازمها.

الحادي عشر: الكلام على ما قلتم صفة فعلية لا ذاتية كما في الشاهد.

الثاني عشر: القدم لا يتصور فيه تجدد بل يتعلق بالموجودات، والكلام ليس كذلك لأن حقيقته مبنية من المتجددات في كل وقت وزمان كما في الشاهد.

الثالث عشر: إذا كان متكلمًا في الأزل على ما ذكرتم، فإما أن يكلم نفسه أو غيره لاستحالة تحقق المحدثات أزلاً، ولا جائز أن يكلم نفسه لعدم الفائدة في ذلك.

الرابع عشر: لو كان الكلام القديم ما ذكرتم، لما كان قارئه مثابًا في وقت عاصيًا في وقت، وكذلك كتابته ولمسه لأن الحقيقة الواحدة لا تختلف، أو لأن الثواب والعقاب لا يتحققان إلا على فعل الآدمي ومقدوره.

الخامس عشر: الخطوط تختلف والحروف تتفاوت والقديم ليس كذلك.

السادس عشر: إذا تكلمنا بكلامه يلزم أن نعلم علمه، ونقدر بقدرته، وإلا يلزم أن تكون القدرة على أحد المتساويين غير ثابتة على المساوي الآخر فيلزم الترجيح من غير مرجح وهو محال، لأن حقيقة الصفة القديمة من حيث هي صفة قديمة واحد.

السابع عشر: لو كان هذا الكلام الذي نتلوه المنسوب إلينا تلاوته كلام الله حقيقة لصدق علينا: أنا نحن الآمرون الناهون المشرعون للأحكام وهذه النسبة منتفية بالإجماع.

الثامن عشر: لو جاز أن نتكلم بكلامه تعالى، لجاز لزيد أن يتكلم بكلام عمرو وليس كذلك.

التاسع عشر: إذا كنا[١] متكلمين بكلامه على وجه لا يتحقق الامتياز يلزم مشاركته تعالى في صفته[٢] القديمة وذلك محال.

العشرون: لو كان هذا الكلام الذي نتلوه حقيقة كلام الله لزم منه قيام الصفة الواحدة بالأغيار المتعددة. وذلك محال.

فعلم بمجموع ما ذكرنا أن الذي صرتم إليه مخالف لبديهية العقل ومستحيل في نفسه فلا سبيل إلى المصير إليه.

والجواب الذي نقوله في الرد عليهم: أن مجموع ما ذكرنا من الآيات والأخبار والإجماع صريح في مدعانا ونص له عليه وفيه ودعوى المجاز مردود إذ هو خلاف الأصل ثم كيف يظن بالصحابة رضي الله عنهم وهم أصحاب العربية وأهل اللغة تواطئهم على استعمال المجاز في صور لا تعد ولا تحصى.

فأما قولكم: أن ما ذكرناه مخالف للقواعد العقلية.

قلنا: لا وسنبين في جواب الأسئلة أن هذا المعتقد لا يخالف الأمور العقلية ولا ينافيها، حينئذ يكون المصير إلى ما ذكرناه أولى إذ هو تبع للصحابة واستعمالات الإطلاقات في موضوعها الأصلي وغير منافٍ للأمور العقلية، حينئذ لا يشك عاقل في ترجيح هذا على ما عداه، على أنا لا نقتصر على هذا،

بل نقول: يجب أن تكون الحقيقة مرادة من تلك الإطلاقات المذكورة في الأخبار والآيات لعشرين وجها:

الأول: لو لم يكن المراد ما ذكرنا، للزم من ذلك التلبيس من الله تعالى على نبيه ﷺ، إذ يكون مصرحًا بنزول كلامه والمراد غيره وذلك محال في حق الله تعالى.

---

(١) في الأصل: إذ كان، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: صفة، والصواب ما أثبتناه.

الثاني: يلزم منه ارتفاع التكاليف بأسرها لأنَّها إنما أوجبت بكلام الله تعالى، وهذا غير كلام الله ومحال أن يكون هذا غير كلام الله، فإن في فتح هذا الباب مفسدة عظيمة.

الثالث: لو لم يكن المراد ما ذكرنا، للزم منه العبث في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] إذ الإجارة حينئذ تكون حاصلة بغير كلام الله، أو يلزم منه المحال، فإن سماع القائم بالنفس مع كونه قائمًا محال، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] وقول النبي ﷺ: «إن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام الله ربي»[1] وليس المراد بهذا إلا ما ذكرنا.

الرابع: لو لم يكن ما ذكرناه ثابتًا، لما ثبتت هذه الأحكام من وجوب تعظيم المصحف واحترامه، وتحريم مسه إلا على طهارة، حتى إنه نقل عن جماعة من العلماء والزهاد رحمهم الله، أنَّهم ما دخلوا بيتًا فيه مصحف إلا على طهارة، لأن هذه الأمور لا تفعل طبعًا إلا لكلام الله تعالى إما بالإجماع أو بالدوران، لا يقال يفعل ذلك لدلالتها على القديم، لأنّا نقول: فكتب الحديث والفقه والتفسير تدل على ما يدل عليه من الحل والحرمة، والمجموع منتفٍ عنها.

الخامس: لو لم يكن هذا المنزل غير كلام الله تعالى على الحقيقة، لما انعقدت يمين الحالف به، ضرورة عدم الانعقاد بالمحدثات واليمين منعقدة فيما إذا قال: وما في المصحف من كلام الله. كيف والتحليف بالمصاحف من لدن الصحابة إلى زماننا هذا شائع بين الناس من غير إنكار فيكون ذلك إجماعًا.

السادس: لو قيل لقارئ يقرأ آية: إنه يقرأ كلام الله، لا يخطأ في هذه القضية

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) والنسائي في "الكبرى" (٧٧٢٧) وابن ماجه (٢٠١) وأحمد (١٤٧٧٠) والدارمي (٣٢٣٢) من حديث جابر بن عبد الله.
قال الترمذي: هذا حديث غريب صحيح.

بالإجماع، ولو قيل: يقرأ عبارة كلام الله لا كلام الله، لأجمع الناس على ضلالته وتبديعه، وكذا هذا الوجه مطرد فيمن وجد يكتب مصحفًا.

السابع: أجمع المسلمون على إطلاق هذه الكلمات من غير إنكار ولا تعرض إلى كيفية نزول ولا حقيقة ولا مجاز وهي قولهم كلام الله منزل غير مخلوق وهذه الكلمات مروية عن النبي ﷺ روي ذلك أبو نصر السجزي في كتابه.

وروي عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود»[١] وكذلك روي من طريق أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن متصل من الله إلينا طرف بيده وطرف في يدينا»[٢].

الثامن: قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين لما عوتب في التحكيم[٣]: ما حكمت مخلوقًا[٤] وذلك يدل على ما قلناه، فإن قضية التحكيم مشهورة، حتى إن الشاعر قال فيها حيث يقول:

أيها الحاضـــرون إن عليًّـــا ... لم يحكم في دينه مخلوقًـــا
إنما حكم القرآن وقد كان ... بتحكيمه القرآن حقيقًـــا
أعلـــم النـــاس بالكتـــاب ... والسنة والله ملهم توفيقًا

(١) انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (١/٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨) و"الانتصار" للعمراني (٢/٦٠٠) ولم أقف على هذا الحديث مرفوعًا، لكن ورد موقوفًا عن عبد الله بن عمر من وجوه

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في الأصل: التحكم، والصواب ما أثبتناه.

(٤) رواه البيهقي في "الشعب" (١٦٨) والبيهقي في "الاعتقاد" (١/١٠٥) واللالكائي في "اعتقاد أهل السنة" (٢/٢٢٧-٢٢٨).

وكان مع علي ومعاوية رضي الله عنهما الجمع العظيم والخلق العميم من كبار الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليه أحد منهم ذلك.

التاسع: لو لم يكن المراد ما ذكرنا لكان قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] غير مستقيم إذ تبديل ما لا يصل إليهم غير متصور، وقد أشار إلى هذا الوجه ابن عقيل[١].

العاشر: الذي صرتم إليه لم يقل به أحد من العلماء لأن إثبات كلام الله قديم لا نبصره ولا نقرأه ولا نسمعه خلاف الإجماع.

الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ [الأعلى: ١٨] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ﴾ [النمل: ٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿لَوْ أَنـزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [الحشر: ٢١] وأجمعت الأمة على أن قوله «هذا» إشارة إلى هذا القرآن الذي نتلوه ونحفظه.

الثاني عشر: لو لم يكن المراد ما ذكرنا، لكان الرد على الكفار لما قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] غير صحيح لأنَّهم كانوا يقولون ما قلناه صحيح. فلولا أن هذا الكلام غير كلام البشر وإلا لما اتجهت الملامة والتوبيخ.

الثالث عشر: قوله ﷺ «**ما بين الدفتين كلام الله**»[٢] وليس بين الدفتين إلا هذه الحروف.

---

(١) ابن عقيل، الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري، الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف. كان يسكن الظفرية ومسجده بها مشهور، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. وكان يتوقد ذكاءً، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير توفي سنة (٥١٣هـ). "سير أعلام النبلاء" (١٤/٣٩١-٣٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤٧٣١) من حديث ابن عباس.

۞ وعن عبد العزيز قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضي الله عنهما فقال شداد بن معقل: أترك النبي ﷺ شيئًا؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين.

ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه: فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين[1]. وهذه إشارة منهم إلى كلام الله تعالى.

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣] فلو لم يكن الثابت ما ذكرناه لكان هذا الكلام بمنزلة قوله: «**فأتوا بمثل ما في نفسي**»، «**وبمثل ما لم تعرفوه**» فيكون بمثابة قوله: «**فأتوا بمثل علمي وقدرتي**» والباري منزه عن ذلك.

الخامس عشر: في ما صرتم إليه رد لقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥].

السادس عشر: قوله ﷺ: «**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**»[2] ومعلوم أنه يرد بالنهي الورق والمداد، فتعين ما ذكرنا وإلا لما صح هذا النهي.

السابع عشر: أجمع المسلمون على أن كلام الله مشتمل على أمر ونهي وخبر واستخبار، ومحكم ومتشابه، ومجمل ومبين، وناسخ ومنسوخ، وأنه سور وآيات وأجزاء وأحزاب، والقائم بالنفس لا يتصف بذلك.

---

(١) قال الحافظ البيهقي: أجمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين. وقال الحافظ ابن حجر: وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله. انظر "السنن الكبرى" (٣٨٥/٢) و"فتح الباري" (٤٩٣/١٣).

(والدفتين): بالفاء تثنية الدفة بفتح أوله، وهو اللوح.

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٠) ومسلم (١٨٦٩) وأبو داود (٢٦١٠) وابن ماجه (٢٨٧٩) وأحمد (٤٥٠٧-٤٥٧٦) ومالك (٩٧٩) والشافعي (٦٦٧) وابن حبان (٤٧١٥) وابن أبي شيبة (٣٦٠٦٤) وسعيد بن منصور (٢٤٦٧) وعبد بن حميد (٧٦٦) (٧٦٨) وابن الجعد (١١٨٥) وأبو يعلى (٢٥٢) وابن الجارود (١٠٦٤) من حديث ابن عمر.

الثامن عشر: لو لم يكن هذا «**الذي**»[١] نتلوه كلام الله حقيقة، لما جاز الرجوع إليه في الأحكام، إذ الرجوع إلى غير كلام الله مع وجوده غير جائز بالإجماع.

التاسع عشر: لو لم يكن ما نتلوه ونحفظه كلام الله حقيقة، لما تحقق إعجاز العرب عن الإتيان بمثله مع ما كانوا فيه من الفصاحة والبلاغة، وتوفر دواعيهم على قطع النبي ﷺ وتعجيزه، وتمكنهم من ذلك في المدة الطويلة، ولما تحقق عجزهم وعدم استطاعتهم عن الإتيان بمثله، حتى نزل معهم من الجميع إلى عشر سور، إلى سورة واحدة، دل ذلك دلالة قطعية على أن هذا الكلام ليس من كلام الآدميين، فتعين أن يكون كلامًا لله إذ لا ثالث لذلك.

العشرون: قوله ﷺ: «**إن هذه صلاتنا لا يصح فيها شيئًا من كلام الآدميين**»[٢] إن فيها قراءة فاتحة الكتاب.

فلو كانت فاتحة الكتاب من كلام الآدميين لتناقض الكلام، لأن نقيض السلب الكلي يتحقق بالإيجاب الجزئي، ومنصب النبوة يجل عن مثل هذه المناقضة.

فثبت بمجموع ما ذكرناه من هذه الوجوه: أن الحقيقة يجب[٣] أن تكون مرادة من تلك الإطلاقات المذكورة في الأخبار والآيات، وأن هذا الموجود المكتوب في المصاحف الذي نحفظه ونعمل به، هو حقيقة كلام الله القديم المنزل على نبيه

---

(١) ليست بالأصل.

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) وأبو داود(٩٣٠) والنسائي في "المجتبى" (١٢١٦) وفي "الكبرى" (٥٥٦) (١١٤١) وأحمد (٢٣٨١٣) (٢٣٨١٦) والدارمي (١٥٠٢) والبخاري في "خلق أفعال العباد" (ص:٥٨) وابن خزيمة (٨٥٩) وابن حبان (٢٢٤٧) (٢٢٤٨) وابن الجارود في "المنتقى" (٢١٢) وابن أبي شيبة (٨٠٢٠) وعبد الرزاق (٣٥٧٧).

(٣) في الأصل: تجب.

ﷺ، إذ هو العمل والأصل والقرآن، وفرارًا عن الوقوع في هذه المحذورات وإخراجًا للصحابة رضوان الله عليهم من الجهالات، ولا خفاء على ذي بصيرة أن هذا هو الدين القويم والصراط المستقيم.

وأما الجواب: عما ذكروه من الأسئلة العقلية:

قلنا: أما الأول: فنسلم ما ذكرتموه من المشاهد الحسية، لكن ما هو مشاهد من السواد والحمرة، والشخصيات الكسبية، فهو محدث عندنا، والحرف قديم بالقبلية والبعدية، إنما كانت باعتبار ما هو محدث من مجموع ما ذكرنا، مع كونه في هذا المحل، والحرف منفك عن هذه الأمور، فعلم أنه لا يلزم مما ذكرتم حدوثها، لا يقال الإشكال بحاله، فإن التقسيم ورد على نفس الحرف، إما أن يكون خاليًا عن العمل، أو لا يكون خاليًا عنه، فإن كان الأول فوجوده حينئذ بعد أن لم يك، فيعود الإشكال، وإن كان الثاني، فيلزم الخلاء للوجود وهو محال، لأنا نقول يكون خاليًا عنه، لكن لما كان ذاتيًا في قدمه، وعدم الوجود في هذا المحل لا ينفي الوجود، فالمنافاة إنما تقع لو وجد بعد أن لم يكن أصلاً.

الثاني: قولكم هذه الحروف يلازمها التركيب.

إن عنيتم بالتركيب أن كلمات يصدق على واحد منها لا يصدق على أخرى.

فإن قلتم: إن ذلك يستحيل على القديم.

فإن كلما يصدق على صفة من صفاته لا يصدق على الأخرى.

وإن عنيتم التركيب الجسماني فلا نسلم تحقق الملازمة حينئذ كما لا يستحيل وجود موجود، لا جوهر ولا جسم ولا عرض، فلِمَ يستحيل وجود حروف يلازمها التركيب مع ما سلف في فصل الحروف من صحة القسمة العقلية، ولئن سلمنا أنه يلازمها التركيب، فَلِمَ قلتم أنه يلزم منه حدوثها؟

قولكم: لازم المحدث محدث.

قلنا: إن أردتم بالملازمة المعبر[1]، فلا نسلم تحقق الحدوث على هذا التفسير، وإن عنيتم بالملازمة عدم الانفكاك، فلا نسلم تحقق الملازمة حينئذ، بل ذلك إنما يقع باعتبار المحال.

قولكم في الثالث: يلزم تنجيس القديم إذا كتب بالحبر النجس.

قلنا: إنما يتنجس للحبر والمداد، أما القديم فلا، ثم إن دفع كلام الله عز وجل من بين أظهرنا وعدم نزوله على النبي ﷺ أشنع من هذه المقالة التي نحن بريئون منها.

قولكم في الرابع: إنه بتقدير[2] أن يكون المشار إليه في هذا المصحف المعين قديمًا، يلزم تعدد القدماء.

قلنا: لا نسلم بل يلزم تعدد الآلات والمحَال، أما نفس الحرف فلا، فإن كتب ألفًا بألوان مختلفة متعددة، لا يشعر ذلك بتعدد الألفات، وإنما التعدد يقع باعتبار تلك الألوان مع المحال، والمتعدد بتعدد محله لا يكون متعددًا في نفس الأمر، إذ لو كان متعددًا مع قطع النظر عن محله، يلزم أن يكون الواحد أكثر من واحد، وذلك محال.

فلئن قال: حاصل ما تشيرون إليه خلاف ما عولتم عليه، وذلك لأن عندكم كلام الله موجود في المصحف على الحقيقة. وهو هذه الحروف وعلى ما ذكرتم ثم يكون القديم غير هذه الحروف.

قلنا: لا يدل على ما ذكرنا على قدم غير هذه الحروف، بل عندنا أنّها قديمة، وهي كلام الله تعالى. ثم عندنا كلام الله تعالى ليس بجسم، وما هو موصوف بالجسمية عندنا محدث، وهو عندنا ‌ اين للكلام القديم ولا ينافي ذلك وجوده في

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها: المعين.

(٢) في الأصل: بتقدر.

هذا المحل المشار، بدليل ما نذكره في النظير فإن الصنَّاع إذا شخص من صنعته صورة وهيأها من مواد مختلفة، فإن صنعته تكون موجودة في ذلك المحل، بحيث لا يشك عاقل في ذلك، مع أن تلك الآلات التي هي موضوع الصنعة، لا تكون داخلة في حقيقة صنعته التي هي الترتيب والتلفيق، وكل ذلك مرئي مشاهد محقق، فكذلك ما نحن فيه بصدق رؤية الحروف مع عدم المنافاة لقدمها، وما عداها ينْزل منْزلة الآلات من هذا المصنوع، فليفهم ذلك ففيه غموض وقد أشار إليه الإمام أبو الحسن ابن الزاغوني[1] في كتابه «الإيضاح».

ولعمري لقد اندفع بهذا التقرير كثير من كلام الأشاعرة وتلبياتهم عند العارف بمعاني الكلام ودقائقه.

بقي على هذا أن يقال، قد نقل عن مالك -رحمه الله- أنه قال: ليس من السنة أن يجادل عنها، إنما السنة أن تخبر بها، فإن قبل منك وإلا فاسكت.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «من أخذ دينه بالقياس ذهب دهره في الإلباس، مائلاً عن المنهاج طاعنًا في الاعوجاج».

ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: نعرف ربنا بما عرفنا به نفسه، ونصفه بما وصف به نفسه، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، قريب من الأشياء غير ملاصق، بعيد منها غير مفارق، محقق بلا تمثيل، وموحد بلا تعطيل.

---

(١) أبو الحسن الزَّاغوني، الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، ذو الفنون، أبو الحسن عليّ بن عبيد الله ابن نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزَّاغوني البغدادي، صاحب التصانيف.
ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة، كان من بحور العلم، كثير التصانيف، يرجع إلى دين وتقوى، وزهد وعبادة.
قال ابن الجوزي: صحبته زمانًا، وسمعت عنه، وعلقتُ منه الفقه والوعظ. ومات في سابع عشر المحرم سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وكان الجمع يفوق الإحصاء. "سير أعلام النبلاء" (١٤/٤٨٣).

قلت: فإشارة ابن عباس إلى أنه لا يجوز العدول عما جاء به الكتاب العزيز، ونطق به السيد الرسول ﷺ، ولا يليق بذي الجلال أن نصفه إلا بما وصف به نفسه، ومن تجاوز ذلك المنهاج، ومال بآرائه ومقاييسه عن طريق الحق والسداد، عُدَّ من عصابة الجهل وأهل العناد.

وأما ما ذكروه في الثامن: إذا كتب إنسان من القرآن ثم محى ذلك.

قلنا: لا نسلم أن التشويش والانعدام ورد على القديم، بل على ما يصدق عليه أنه محدث، أما الحرف فلا. وقد بينا فيما تقدم ثبوت التغاير بينهما، ثم لو صح ما ذكرتم لزم من انعدام هذه الألف انعدام كل ألف، وذلك باطل بالبديهة الحسية، فإن انمحى ألف كتب في محل لا توجب انمحاء ألف كتبت في محل آخر، ولو كان المحو واردًا على الحرف، لارتفع الجميع بارتفاع واحد منها، بل هو وارد على أمور خارجة عن حقيقة الحرفية.

فصل

في إثبات الحرف لله تعالى

دليله آيات من الكتاب العزيز

الأول: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

والكلمات هي الحروف المتألفة المفيدة وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

قال الأصمعي[١] والفراء[٢] وأبو عبيد القاسم بن سلام[٣] وغيرهم من أهل اللغة: التأكيد بالمصدر يدل على ارتفاع الواسطة.

فثبت أنه يقال: كلم موسى بكلام سمعه بحاسة أذنه، ولذلك امتن الله عليه

(١)الأصمعي، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ابن عبد الملك بن علي الأصمعي، البصري، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام، يقال: اسم أبيه عاصم، ولقبه قُريب، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، أثنى عليه أحمد بن حنبل في السُّنَّة،

وقال ابن معين: كان الأصمعي من أعلم الناس في فنّه.

وقال الربيع: ما عبَّر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي.

وقال أبو داود: صدوق.

وقال المُبَرِّد: كان الأصمعي بحرًا في اللغة، لا نعرف مثله فيها، وكان أبو زيد أنحى منه.

مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومائتين. "سير أعلام النبلاء" (٨/٤٦٩).

(٢)الفَرَّاء العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي.

قال ثعلب: لولا الفراء لما كانت العربية، ولسقطت، لانه خَلَّصها، ولأنَّها كانت تُتنازع ويَدَّعيها كلُّ أحد.

وقال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى.

وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو.

مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين. "سير أعلام النبلاء" (٨/٤٣٤).

(٣)أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله.

كان أبوه سلاَّم مملوكًا روميًا لرجل هروي، وولد أبو عبيد سنة سبع وخمسين ومائة

قال الإمام أحمد: أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيرًا.

وقال أبو داود: أبو عبيد ثقة مأمون.

وقال أبو قدامة: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أبو عبيد أستاذ.

وقال الدارقطني: ثقة إمام جبل.

مات أبو عبيد سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة. "سير أعلام النبلاء" (٩/١٨٣)

في قوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] فلولا أنه سمع كلامه وإلا لم يكن للتخصيص فائدة.

وقد روي أن بني إسرائيل كانوا يقولون لموسى عليه السلام: أرنا أذنًا سمعت كلام الله[١].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة»[٢].

وروي عن زيد بن أسلم: أن الله لما كتب التوراة بيده لموسى، قال: «باسم الله قال: هذا كتاب الله بيده لعبده موسى يسبحني ويقدسني ولا يحلف باسْمي آثمًا» الحديث بطوله.

فصل

في إثبات الصوت لله تعالى

ينطق الكتاب العزيز بذلك في مواضع:

منها في سورة القصص ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾ [القصص: ٣٠].

وفي سورة النمل ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ [النمل: ٩] وفي طه ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ [طه: ١١]. والنداء لا يكون إلا بصوت عند جميع أهل اللغة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ٣١].

والاستماع لا يكون إلا لصوت مسموع.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٤٥) (١٠٩٩) وأبو بكر النجاد في "الرد على من يقول بخلق القرآن" (١٤) والطبراني في "الكبير" (١٢٦٥٠) وفي "الأوسط" (٣٩٣٧) والبيهقي في "الشعب" (١٠٥٢٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

قلت: وهذا حديث ضعيف جدًا لضعف جويبر بن سعيد

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٦٢و٧٤] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ[1] إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] والنداء بالإجماع لا يكون إلا بصوت.

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي[2] أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعبد ني﴾ [طه: ١٤] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ[3] الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦] ﴿وَنَادَيْنَاهُ من جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] إنما سمعوا الصوت.

وروى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إذا تكلم الله بالوحي، سمع صوته أهل السماء السابعة، فيخرون سجدًا** »[4] إلى آخره.

وروي في الصحيحين ودونه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر العباد يوم القيامة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»[5].

وروى محمد بن عطية، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ينادي يوم القيامة، فيقول: أين جيراني؟ أين جيراني؟ فتقول الملائكة ربنا! ومن ينبغي له أن يجاورك؟ قال: فيقول: أين عمار المساجد**»[6].

---

(١) في الأصل: الغربي، وأما قوله "وما كنت بجانب الغربي" فبقيتها "إذ قضينا" وليس محلها هنا.

(٢) في الأصل: يا موسى إنني أنا الله.

(٣) في الأصل: بالوادي، بإثبات الياء.

(٤) رواه البخاري (٧٠٤٢)

(٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية: (٢١٣/١٠) والحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (١٢٦) والديلمي في "مسند الفردوس" (٨٠٥٧).

ولا يقال إضافة النداء إلى الله بطريق المجاز إذ هو الآمر كما يقال: نادى السلطان والمراد غيره، لأنا نقول: لا يجوز ذلك. لأن غير الله لا يمكنه أن يقول: «أنا الله، أنا الملك، أنا الديان. **فيسقط هذا الخيال**».

وروي أن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن رجل قال: إن الله لم يتكلم بصوت ولم يكلم موسى بصوت.

فقال: هذا جهمي كافر عدو الله وعدو الإسلام أما سمع ما قال ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء.، وهذا لا يقوله ابن مسعود بالاجتهاد من تلقاء نفسه.

وروي «أن موسى عليه السلام لما مضى بقبس النار، رأى نارًا تفور من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة، وإذا المنادي ينادي: يا موسى يا موسى. فأجاب استئناسًا ببشر: لبيك لبيك! من أنت؟ فإني أسمع صوتك ولا أرى مكانك. فقال: يا موسى أنا ربك».

وروي أيضًا، أن بني إسرائيل قالوا لموسى: بم شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق؟ قال شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجع[١].

وروي أن موسى حين رجع من مناجاة ربه استحوش من كلام الآدميين لما وجد من الأنس بكلام الله تعالى.

فصل

في أن القراءة هي المقروء وأن الكتابة هي المكتوب

وإن كانت طريقتنا هذه التي سلكناها غير مفتقرة إلى شيء من ذلك، لكن اتباع المشايخ أولى.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" (٥٤٢) و(١٠٩٨) بإسناد ضعيف.

منها ما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف منه خمسون حسنة أما إني لا أقول: آلم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[١].

وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا يعذب الله قلبًا وعى القرآن**»[٢] وروي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك**»[٣].

وروي عن ابن مسعود أنه قال: «تعاهدوا هذا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم من عقلها»[٤].

وروي عنه أيضًا، أنه قال: «أقرأني رسول الله ﷺ آية، فأثبتها في مصحفي، فلما كان الليلة، جئت أقرأها، فلم أقدر على قراءتِها، فعدت إلى المصحف فوجدت مكان الآية أبيض، فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أما علمت أنَّها رفعت البارحة؟**»[٥].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والروايات الأخرى بعضها عند الترمذي، والطبراني في "الأوسط" والبيهقي في "شعب الإيمان" ولا يصح منها شيء.

(٢) رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص:٨٧) والدارمي (٣٣١٩) وابن أبي شيبة (٣٠٠٧٩) و(٣٤٧٣٢) من حديث أبي أمامة.

قال الحافظ بن حجر: وأخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة. فذكره. "الفتح" (٧٩/٩).

(٣) رواه أبو نعيم في "الحلية" (٢٩٦/٤) والبيهقي في "الشعب" (٢١١٩) وهو ضعيف لانقطاعه قال الحافظ ابن حجر: حديث علي "**إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك**" رواه أبو نعيم ووقفه ابن ماجه، ورواه أبو مسلم الكجي في "السنن" وأبو نعيم من حديث الوجهين وفي إسناده مندل وهو ضعيف. "تلخيص الحبير" (٧٠/١).

(٤) رواه البخاري (٥٠٣٢) ومسلم (٧٩٠).

(٥) رواه الطحاوي في "مشكل الآثار" (٤١٨/٢).

وعنه أيضًا أنه قال: «اقرءوا القرآن قبل أن لا تقدروا على آية منه». قيل وكيف ذلك يا بن مسعود ونحن نعلمه أبنائنا وأبناؤنا يعلمونه أبناءهم. قال: يسري عليه في ليلة واحدة فينسخ من صدور الرجال ومن المصاحف. فيصبح الناس [illegible] لا يقدرون على آية منه»(١).

وعن أبي هريرة أنه قال: «يسرى على القرآن في ليلة واحدة، فلا يصبح في الأرض منه آية واحدة».

وفي حديث آخر: «يوشك أن يغضب الله لكتابه، فيسري عليه في ليلة فلا يبقى في قلب ولا ورقة منه حرف واحد»(٢).

وفي حديث آخر: «ليرفعن القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم».

وروي عن النبي ﷺ، أنه كان يعرض نفسه في الموسم ويقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»(٣).

وروي عنه، أنه قال: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله

---

(١) رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣٦٧) والدارمي (٣٣٤١) وابن جرير في "تفسيره" (١٥٨/١٥) وسعيد بن منصور (٩٧) ونعيم في "الفتن" (١٦٠٩) وابن أبي شيبة (٣٠١٩٣) وعبد الرزاق (٥٩٨٠) والبيهقي في "الكبرى" (١٨٦٩) وابن المبارك في "الزهد" (٨٠٣) والحميدي (٣٦٨) بأسانيد ضعيفة.

(٢) رواه الطبراني في "الأوسط" (٧٥٤١) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٤/٦٢). قال الهيثمي: رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه عيسى بن ميمون الواسطي وهو متروك وقد وثقه حماد بن سلمة. "مجمع الزوائد" (١٥٠/١).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١) والدارمي (٣٣٥٤) وأحمد (١٤٧٧٠) والنسائي في "الكبرى" (٧٧٢٧) وابن أبي شيبة (٤٤٧/٨) والطبراني في "الأوسط" (٦٨٤٧) والحاكم (٤٢٢٠) والبيهقي في "الشعب" (١٦٨) قال الترمذي: هذا حديث غريب صحيح.

العدو»[١].

وقال الإمام أحمد ﷺ: ولم يذكر حبرًا ولا ورقًا.

وعن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدام النظر في المصحف متع ببصره ما بقي في الدنيا، وفضل القراءة في المصحف نظرًا على قراءته ظهرًا -أي حفظًا- كفضل الفريضة على النافلة».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن نظرًا ختمه غرس الله له به في الجنة» الحديث بطوله.

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «خذوا القرآن عن أبيّ، وابن أم عبد -يعني: ابن مسعود- ومعاذ، وسالم»[٢].

وروى عطية بن قيس قال: ما تكلم العباد بكلام أحب إلى الله من كلامه - يعني: القرآن- ولا رفع إلى الله كلام أحب إليه من كلامه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[٣].

يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فعلم بمجموع ما ذكرنا أن معتقد الصحابة والتابعين ما اعتقدنا ومذهبهم ما ذهبنا إليه ونصرناه.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٠) ومسلم (١٨٦٩).

(٢) رواه البخاري (٣٥٩٧) و(٤٧١٣) ومسلم (٢٤٦٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٩٣١) وأحمد (١٩٤٧) والدارمي (٣٣٠٦) والحاكم (٢٠٣٧) وأبو نعيم في "الحلية" (٩/٢٣٢) والبيهقي في "الشعب" (١٩٤٣) والضياء في "المختارة" (٥٢٥) و(٥٢٦) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى، أنه قال: «لعن الله المشبهة والمعطلة. فقيل له: من المشبهة؟ قال: الذين يقولون يد كيدي وبصر كبصري».

ونقل عنه: أنه قال: من شبه الله بخلقه فهو كافر بالله العظيم.

وروي عنه أنه قال: مذهبنا بين مذهبين وهدى بين ضلالتين، إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات، لا نغالي في الصفات فنجعلها أجسامًا فنشبه[1] الله بخلقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ولا نقصر فنمحوا[2] عنه ما أثبته لنفسه، بل نقول كما سمعنا، ونشهد بما علمنا.

قال النبي ﷺ: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**»[3]

فالتشبيه زيغ وضلال، والتعطيل كفر وإبطال، والوقوف مع السلامة أسلم. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وروى يونس بن عبد الأعلى المصري[4] عن إمامنا الشافعي رحمه الله، أنه قال: نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ونثبت الصفات التي جاءت[5] بها

---

(١) في الأصل: فتشبيه.

(٢) في الأصل: فيمحوا.

(٣) رواه الدارمي (٢٠٥) والمروزي في "السنة" (٧٨) ووكيع في "الزهد" (٢١٥) والطبراني في "الكبير" (٨٧٧٠) والبيهقي في "الشعب" (٢٢١٦) وفي "المدخل" (٢٠٤) وأحمد في "الزهد" (١٦٢) وأبو خثيمة في "العلم" (٥٤) موقوفًا.
قلت: صححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٤) هو: يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان، الإمام، شيخ الإسلام، أبو موسى الصدفي، المصري المقرئ الحافظ، أمه فليحة بنت أبان التجيبية، ولد سنة سبعين ومائة في ذي الحجة.
قال يحيى بن حسان التنيسي: يونسكم هذا ركن من أركان الإسلام. توفي سنة (٢٦٤هـ). "سير أعلام النبلاء (١٠/٢٤٨-٢٤٩).

(٥) ليست بالأصل.

السنة، ونفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنحن نصف ولا نشبه. ونثبت ولا نجسم، ونعرف ولا نكيف. مذهبنا بين باطلين، وهدى بين ضلالتين، وسنة بين بدعتين وقد تفرد الله سبحانه وتعالى بحقائق صفاته ومعانيها عن العالم فنحن بها مؤمنون، وبحقائقها موقنون، وبمعرفة كيفيتها جاهلون.

فانظروا -رحمكم الله- إلى لفظ هذين الإمامين وكيف اتحدا واتفقا والتبري ما وراءه أحرى.

اعلم أن القراءة هي المقروء بدليل بحث لغوي مرجعه إلى أرباب اللغة. وقد جعلوهما بمعنى واحد.

قال ابن قتيبة[١] في كتاب اللفظ: العرب تسمي القراءة قرآنًا، قال الشاعر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا

أي: قراءة.

قال أبو عبيدة[٢]: يقال قرأه قراءة وقرآنًا بمعنى واحد يجعلوهما مصدرين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] وإذا كانتا القراءة

---

(١) هو: ابن قتيبة، العلامة الكبير، ذو الفنون، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، قيل: المروزي، الكاتب صاحب التصانيف.
نزل بغداد، وصنَّف وجمع، وبعد.
فمن تصانيفه: غريب القرآن، المعارف، مشكل القرآن، مشكل الحديث، أدب الكاتب. غيرها كثير. توفي سنة (٢٧٦هـ) "السير" (١٠/٦٢٥-٦٢٦).

(٢) هو: أبو عبيدة الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف.
ولد في سنة عشر ومائة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، وتوفي سنة ٢٠٩ أو ٢١٠هـ. "السير" (٨/٢٨٧)

والقرآن بمعنى واحد، فيلزم التسليم.

وقد أجمعنا على أن كلام الله هو القرآن.

وأجمعنا على أن كلام الله غير مخلوق.

فيتعين أن تكون القراءة غير مخلوقة، وقد أجمع أهل العلم على أن من حلف: لا يتكلم بكلام الآدميين: فقرأ القرآن، أنه لا يحنث، ولو علق به طلاق زوجته لا يقع.

وقد أطلق الله تعالى لفظ القرآن وأراد به القراءة في مواضع:

منها: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ الآية [الإسراء: ٤٥] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] ﴿فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

والمراد بالجميع القراءة.

وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن عن أبيّ وابن أم عبد»[1]

وقوله ﷺ: «إن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[2].

---

(١) تقدم.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١) والدارمي (٣٢٣٢) وأحمد (١٤٧٧٠) والنسائي في "الكبرى" (٧٧٢٥) وابن أبي شيبة (٨/٤٤٧) والحاكم (٤٢٢٠) والطبراني في "الأوسط" (٦٨٤٧) والبيهقي في "الشعب" (١٦٨). قال الترمذي: هذا حديث غريب صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أي القراءة به والتلاوة.

وأما إن الكتابة هي المكتوب، ففي آيات منها قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١-٣] ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨] ﴿كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧] ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨].

يعني هو الكتابة، كما أخبر في صفة نبينا ﷺ حيث قال: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والمراد به الكتابة وهي المودوعة في المصاحف إلى يوم القيامة يتوارثها القراطيس وتتضمنها.

وقد ذكر ابن عرفة في «تاريخه» هذه الأبيات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يرثي بها النبي ﷺ:

فقدنا الوحي مذ وليت عنا	وودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينًا	توارثه القراطيس الكرام
فقد أورثتنا قرآن صدق	عليك بها التحية والسلام
من الرحمن في أعلى جنان	من الفردوس طاب بها المقام

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩] ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣] والمراد به: الكتابة.

وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «إذا»[1] سمعت من رجل يقول الاسم غير المسمى فاشهدوا عليه بالزندقة.

(١) ليست بالأصل

فصل

في أن كلام الله مسموع

دليله آيات من الكتاب العزيز. منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنـزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن:١] ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنـزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١٣] ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان: ٧] ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ [فصلت: ٢٦].

فعلم بهذه الآيات، أن كلام الله مسموع، والمسموع ليس إلا هذه الحروف والأصوات، فتكون هي كلام الله حقيقة، وإذا كانت هي كلام الله حقيقة لا يكون غيرها كلام الله ضرورة لأن كلام الله أحد الشيئين، وليس هو ذلك الذي هو غيره فينبغي المصير إلى هذا.

۞ ۞ ۞

فصل

في أحاديث تؤكد القول بهذا المعتقد وتؤيده على هذا التنزيه الذي عليه أئمة الإسلام حشرنا الله على معتقدهم وأماتنا على محبة السلف الصالحين والأئمة المهديين رضي الله عنهم أجمعين

فانظروا إلى ما كان عليه الأئمة المهديون والفرق بينهم وبين غيرهم من المتعصبين من أهل زماننا على موافقة أغراضهم ومخالفتهم لهم، لكونهم انعطفوا على حب الدنيا وزخارفها، والتحبب إلى رؤساء أعصارهم حملهم[1] على هذه الأمور المستبشعة، فباعوا المقطوع بالمظنون ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

ونحن من ديننا: التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة نبينا ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئًا، ولا ننقص منه شيئًا، كحديث قصة الدجال وقوله فيه: «**وإن ربكم ليس بأعور**»[2].

وكحديث النزول إلى سماء الدنيا[3].

وكحديث الاستواء على العرش[4]، وإن القلوب بين أصبعين من أصابعه[5]

(١) في الأصل: جهلهم.

(٢) رواه البخاري (٣٠٥٧) ومسلم (١٦٩).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٤) رواه البخاري (٧٤٠٤) ومسلم (٢٧٥١).

(٥) رواه مسلم (٢٦٥٤).





ثم نشرع
في كلامنا نحن

وهو القسم الثاني فيما نذكره فيما وضعناه في كتابنا المعروف «بالتبيان في آداب حملة القرآن» فلنذكر من الباب الأول أخبارًا في فضيلة تلاوة القرآن وحملته فهي كثيرة جدًّا فمن جملتها:

عن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»(١) [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الـم حرف [ولكن] ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٢) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وعن عبد الله بن مسعود أيضًا قال: «اقرءوا القرآن. إن الله لا يعذب قلبًا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليبشر»(٣)

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(٤) [رواه مسلم].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٩١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذ الوجه.

(٣) رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص: ٨٧) وابن أبي شيبة (٣٠٠٧٩) والدارمي (٣٣١٩) و(٣٣٢٠).

قلت: صحح الحافظ ابن حجر إسناده في "الفتح" (٩/ ٧٩).

(٤) رواه مسلم (٨٠٤).

القرآن وعلمه»[١] [رواه البخاري].

ومن الباب السابع منه: في آداب الناس كلهم مع القرآن:

ثبت في صحيح مسلم عن تميم الداري قال: إن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٢].

قال العلماء: النصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى، وتنْزيله لا يشبهه شيء من كلام المخلوقين، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته.

فصل

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العظيم على الإطلاق، وتنـزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه. أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك، فهو كافر

قال الإمام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض[٣] رحمه الله: اعلم أن من

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) رواه مسلم (٥٥).

(٣)القاضي عياض، الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي. ولد سنة ٤٧٦هـ استبحر في العلم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، توفي سنة ٥٤٤هـ "السير" (١٥/٣٧-٣٨).

استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيءٍ منه، أو شبه أو جحد حرفًا، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته وهو عالم بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر بإجماع المسلمين. وكذلك إن «من جحد التوراة»[١] والإنجيل، أو كتب الله المنزلة، أو كفر بها، أو سبها، أو استخف بها، فهو كافر.

قال: وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع الأقطار، والمكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان من أول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخر ﴿النَّاسِ﴾ كلام الله ووحيه المنزل على نبيه ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأُجمع عليه أنه ليس بقرآن، عامدًا لكل هذا فهو كافر.

قال أبو عثمان الحداء: جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد بحرف من القرآن كفر، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ[٢] القارئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين لها مع ابن مجاهد[٣] لقرائته وإقرائه بسواد من الحروف مما ليس في المصحف. وعقدوا عليه للرجوع عنه والتوبة منه سجلاً أشهد على

---

(١) في التبيان: إن جحد.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت المعروف بابن شنبوذ، أبو الحسن، مقرئ كثير الحديث، من أهل بغداد، انفرد بشواذ كان يقرأ بها في المحراب، وعلم الوزير ابن مقلة بأمره فأحضره وأحضر بعض القرَّاء فناظروه فنسبهم إلى الجهل وأغلظ للوزير فأمر بضربه، ونفي إلى المدائن وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ.

(٣) هو: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي المعروف بابن مجاهد، مقرئ محدث نحوي. توفي سنة ٣٢٤هـ.

نفسه في مجلس الوزير أبي علي ابن مقلة[١] سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة.

وأفتى محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي: لعن الله معلمك وما علمك، وقال: أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال يؤدب القائل.

قال: وأما من لعن المصحف فإنه يقتل. هذا آخر كلام القاضي عياض.

فصل

ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه.

وأما تفسيره للعالم فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه.

فمن كان من أهل التفسير جامعًا للأدوات التي تعرف بها معناه، وغلب على ظنه المراد، فسَّره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الخفية والجلية، والعموم والخصوص، والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد، كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية، فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله.

أما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته، فحرام عليه التفسير. ولكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله.

ثم المفسرون برأيهم من غير دليل صحيح أقسام:

❁ فمنهم: من يحتج بآية على تصحيح مذهبه وتقوية خاطره، مع أنه لا يغلب على ظنه أن ذلك هو المراد بالآية، وإنما يقصد الظهور على خصمه.

❁ ومنهم: من يقصد الدعاء إلى خير ويحتج بآية من غير أن يظهر له دلالة

---

(١) هو: محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي، أديب، شاعر، حسن الخط، من الوزراء، ولد في بغداد سنة (٢٧٢هـ) وولي الخراج في أعمال فارس، توفي سنة (٣٢٨هـ).

لما قاله.

۞ ومنهم: من يفسر الألفاظ العربية من غير وقوف على معانيها عند أهلها، وهي مما لا يؤخذ إلا بالسماع من أهل العربية وأهل التفسير، كبيان معنى اللفظة وإعرابها، وما فيها من الحذف والاختصار والإضمار والحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإجمال والبيان، والتقديم والتأخير.

ولا يكفي في ذلك معرفة العربية وحدها، بل لابد معها معرفة ما قاله أهل التفسير فيها، فقد يكونون مجتمعين على ترك الظاهر، أو على إرادة الخصوص والإضمار، أو غير ذلك «مما به خالف»[1] الظاهر، وكما إذا كان اللفظ مشتركًا بين معان، فعلم أن المراد أحد المعاني ثم فسر كلما جاء به، فهذا كله تفسير بالرأي وهو حرام والله أعلم.

فصل

يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق، ومن ذلك أن يظهر له دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه، ويحتمل احتمالاً ضعيفًا موافقة مذهبه، ويناظر على ذلك فيحملها على مذهبه مع ظهورها له في خلاف ما يقول، وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المراء في القرآن كفر»[2]

قال الخطّابي: قيل: المراء المراد به الشك.

---

(١) في التبيان: فما هو خلاف.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٣) والنسائي في "الكبرى" (٨٠٩٣) وأحمد (٧٩٢٩) وابن حبان (١٤٦٤) والحاكم (٢٨٨٢) وأبو يعلى (٦٠١٦) والطبراني في "الأوسط" (٢٤٩٩) و(٣٦٦٦) وأبو نعيم في "الحلية" (٢١٣/٨) والبيهقي في: «الشعب» (٢٢٥٥).

وقيل: الجدال المشكك فيه.

وقيل: الجدال الذي يفعله أهل الأهواء في آيات القدر ونحوها.

فصل

لا يمنع الكافر من سماع القرآن لقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ويمنع من مس المصحف.

وهل يجوز تعليمه القرآن؟ قال أصحابنا: إن كان لا يرجى إسلامه، لم يجز تعليمه. وإن رجي إسلامه ففيه وجهان:

أصحهما: يجوز رجاء إسلامه.

والثاني: لا يجوز كما لا يجوز بيع المصحف منه وإن رجي إسلامه.وأما إذا رأيناه يتعلم فهل يمنع فيه وجهان.

فصل

اختلف العلماء في كتابة القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى للمريض: فقال الحسن ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس به وكرهه النخعي.

قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما من أصحابنا: ولو كتب القرآن على الحلوى وغيرها من الأطعمة فلا بأس بأكلها.

قال القاضي: ولو كان على خشبة كره إحراقها.

فصل

مذهبنا أنه يكره نقش الحيطان والأبواب بالقرآن وبأسماء الله تعالى.

وقال عطاء: لا بأس بكتب القرآن في قبلة المسجد.

وأما كتابة الحروز من القرآن، فقال مالك: لا بأس به إذا كان في قصبه أو جلده خرز عليه.

وقال بعض أصحابنا: إذا كتب في الحرز قرآن مع غيره فليس بحرام، ولكن الأولى تركه لكونه يحمل في الحدث، وإذا كتب يصان كما قاله الإمام مالك. بهذا أفتى للشيخ أبو عمرو بن الصلاح.

فصل

اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها، وتبيينها وإيضاحها، وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه.

قال العلماء: يستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه والتصحيف.

وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفًا من التغيير فيه وقد أمن من ذلك اليوم فلا يمنع، ولا يمتنع من كونه محدثًا فإنه من المحدثات الحسنة، فلم يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك والله أعلم.

فصل

لا يجوز كتابة القرآن بشيء نجس ويكره كتابته على الجدران عندنا.

فصل

أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه.

قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله صار الملقي كافرًا.

ويحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم حرام، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم، لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار، فالمصحف أولى.

وقد قررت دلائل استحباب القيام في الجزء الذي جمعته فيه.

وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة، أن عكرمة بن أبي جهل كان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي كتاب ربي[1].

فصل

يحرم على المحدث مس المصحف وحمله، سواء حمله بعلاقة أو بغيرها سواء مس نفس المكتوب أو الحواشي أو الجلد، ويحرم مس الخريطة والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف. هذا هو المذهب المختار.

ولو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر، ولو كان بعض آية كتب للدراسة حرم مس اللوح.

فصل

ويمنع الصبي والمجنون الذي لا يميز من حمل المصحف مخافة من انتهاك حرمته وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله.

هذا الذي ذكرته مذهب أصحابنا المحققين والمعتمد عليهم في التقليد والنقل، أصحاب الجرح والتعديل رضي الله عنهم أجمعين.

اللهم اجعله شاهدًا لنا لا علينا، ووفقنا وسائر أحبابنا لمرضاتك، وأمتنا على هذا المعتقد معتقد الصحابة والتابعين، والمشايخ والصالحين، إنك على ما تشاء

---

(١) رواه الدارمي (٣٣٥٠) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤١/٥٨-٦٨) بإسناد صحيح.

قدير واجمع بيننا وبين مشايخنا ومن أحببناه وأحبنا في دار كرامتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

ثم قال المصنف رحمه الله: فرغنا من نسخه الخميس الثالث من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة.



فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة



